دليل الإتيان بنتائج عكسيةّ

التكتيكات المقاومة للظلم

Brian Martin

Translation 2019 JPD Systems

دار أيرين للنشر2012

دليل الإتيان بنتائج عكسيّة
التكتيكات المقاومة للظلم

براين مارتن

دار أيرين للنشر 2012

جدول المحتويات

ملاحظات المؤلف..... 3
1. نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة..... 5
2. تحليل النتائج العكسيّة..... 10
3. الاستعداد والتحضير..... 28
4. الآن وبعد ذلك..... 46
5. أسئلة وأجوبة..... 53
6. التطبيق الفعليّ..... 58
7. الملحق: الدروع البشريّة والنتائج العكسيّة الوقائيّة..... 60

ملاحظات المؤلف

في أواخر سبعينيّات القرن الماضي، أخذتُ على عاتقي مسؤوليّة البدء بدراسة إمكانيّات اللجوء لاعتماد إجراءات لاعنفيّة والترويج لها، في الوقت الذي انصبّت فيه أسمى اهتماماتي على استحداث مجتمع تساهم فيه الأساليب اللاعنفيّة في الحدّ من التدخّلات العسكريّة المحتملة في هذا الشأن.

وتتمثّل إحدى أكثر سمات الإجراءات اللاعنفيّة المثيرة للاهتمام المعتمدة في إمكانيّة أن تؤدّي الحالات التي يتعرّض فيها المحتجّون السلميّون لإعتداءات وحشيّة إلى إظهار دعم أكبر مقدّم لهم. وفي هذا السياق، أطلق الباحث السياسيّ، جين شارب، الرائد في مجال الترويج لاعتماد إجراءات لاعنفيّة على هذا الوضع اسم "الجوجيتسو السياسيّ".[1] وفي رياضة "الجوجيتسو"، قد تنقلب قوّة الخصم وزخمه ضدّه. وبالمثل، قد يساهم المحتجّون، ومن خلال الحفاظ على سلميتهم، في تحويل مسار قوّة المهاجمين الساحقة لتنقلب، وبدورها، ضدّهم، الأمر الذي من شأنه تعزيز الدعم المقدّم لهم في هذا الشأن.

وتتعدّد حالات المقاومة للظلم وتتنوّع. ففي عام 2000 على سبيل المثال، بدأتُ باظهار اهتمام متنامي بالحالات التي لا تشهد مقاومةً ملحوظةً. وفي هذا السياق، قرّرتُ، وبالتعاون مع اثنين من زملائي، وهما ويندي فارني وأدريان فيكرز، النظر في انتهاكات حقوق الإنسان التي تسبّبت بها القوّات العسكريّة الإندونيسيّة. ففي بعض الحالات، كتلك التي انطوت على الغزو الإندونيسيّ لجمهوريّة تيمور الشرقيّة مثلاً، اشتدّت المقاومة المعارضة. أمّا في بعض الحالات الأخرى، فلم يكن لها أيّ وجود أو تأثير يُذكر. وفي عام 1965، بدأت القوّات العسكريّة الإندونيسيّة بشنّ حملة قتل جماعيّ واسعة النطاق استهدفت الشيوعيّين نظر إليها العديد من العلماء باعتبارها إبادةً جماعيّةً أسفرت عن إلحاق الضرر بحوالى 800,000 فرد. ومع ذلك، لم تشهد الدولة سوى مقاومة محدودة نسبيًّا داخل حدودها وغضب قليل خارجها، رحّبت به العديد من الحكومات المعادية للشيوعيّة.[2]

أمّا أنا، فكنتُ على إدراك تام بمفهوم "الجوجيتسو السياسيّ". لم يقاوم المتضرّرون من عمليات القتل التي وقعت خلال الفترة الممتدّة بين عامي 1965 و1966 أيّ من أعمال العنف التي تعرّضوا لها، الأمر الذي جعلني أفكّر في السبب الكامن وراء انعدام تطبيق مفهوم "الجوجيتسو السياسيّ" في بعض الحالات. وفي هذا السياق، راودتي الفكرة المتمثّلة في احتماليّة سعي المهاجمين للحدّ من تأثير "الجوجيتسو". وتدريجيًّا، بدأتُ بتطوير أفكار حول الأساليب التي قد يستخدمها مرتكبو الانتهاكات للحدّ من انتشار حالات الغضب. ونظرًا لتمتّع الإطار الذي استحدثته بميّزاتٍ بارزة غير مدرجة ضمن مفهوم "الجوجيتسو السياسيّ" الذي ابتكره شارب، فقرّرتُ إطلاق مصطلح "الإتيان بنتائج عكسيّة" على الآثار المترتّبة في هذا الشأن.

وفي العقد الماضي، سعيتُ لتطبيق نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة على مجموعة واسعة من الحالات، بما في ذلك، وبكلّ سهولة، على المجاذر المرتكبة بحقّ المحتجّين السلميّين، كتلك التي وقعت في تيمور الشرقيّة وجنوب إفريقيا، وكذلك، على حالات الظلم التي تقع خارج نطاق إطار الإجراءات اللاعنفيّة المعتمدة، كممارسات الرقابة والتحرّش الجنسيّ ووحشيّة الشرطة والتعذيب والإبادة الجماعيّة.[3]

وفي هذا السياق، تمّ تصميم هذا الدليل لتوفير توجيهات عمليّة حول كيفيّة استخدام نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة لأولئك الذين يسعون لاتّخاذ إجراءات ضدّ الظلم والذين يرغبون في التفكير، وبكلّ عناية، بأكثر الخطوات فعاليّةً التي لا بدّ من اتّخاذها في هذا الشأن. وبالتالي، يعدّ نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة، وبكلّ بساطة، دليلاً للتفكير استراتيجيًّا وتكتيكيًّا، يسعى للتذكير بالأمور التي لا بدّ من أخذها بالاعتبار. وفي هذا السياق، لا بدّ على كلّ فرد راغب بالتحلّي بالكفاءة والفعاليّة من اكتساب المعارف المحليّة والرؤى العمليّة الضروريّة لتحقيق النجاح المنشود في كلّ حالة من الأحوال.

وتتمثّل إحدى أبرز رسائل النموذج في التفكير في الخيارات ذات الصلة المتاحة ومراعاة ما قد يتولّى الطرف الثاني الاضطلاع به. ويتّضح ذلك بما فيه الكفاية عندما يتمّ ذكر ذلك بهذا الأسلوب. لكن، من الناحية العمليّة، غالبًا ما يقوم النشطاء بالاضطلاع بالأمور نفسها التي دائمًا ما يتولّون مهمة تنفيذها، ويفكّرون، وبشكلٍ أساسيّ، في الإنجازات التي يرغبون في تحقيقها والأمور التي يخطّطون للاضطلاع بها على حدّ سواء.

---

[1] جين شارب، *سياسات حرب اللاعنف* (بوسطن: بورتر سارجنت، 1973)

[2] براين مارتن، ويندي فارني، وأدريان فيكرز، "الجوجيتسو السياسيّ ضدّ القمع الإندونيسيّ: دراسة المقاومة اللاعنفيّة الأقلّ وضوحًا"، باسيفيكا ريفيو، المجلّد (13)، 2001، الصفحة 143 – الصفحة 156

[3] للاطلاع على العديد من المقالات الصادرة في هذا الشأن، يُرجى زيارة الموقع الإلكترونيّ التالي: http://www.bmartin.cc/pubs/backfire.html

وفي الفصل الأوّل، يتمّ تقديم لمحة عن نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة، في الوقت الذي يحلّل فيه الفصل الثاني هذه النتائج ويتولّى تحديد الأسلوب الذي يتمّ من خلاله اكتشاف التكتيكات التي يستخدمها مرتكبو الانتهاكات وفهمها والتي من شأنها الحدّ من انتشار حالات الغضب. أمّا بالنسبة للفصل الثالث، فيقدّم اقتراحات حول كيفيّة الاستعداد لاتّخاذ الإجراءات اللازمة، في الوقت الذي يتمّ فيه أخذ ما قد يضطلع به المعارضون بالاعتبار. وفي الفصل الرابع، يتمّ تقديم أفكار حول كيفيّة اتّخاذ الإجراءات اللازمة في حال التعرّض للظلم وعند انقضاء الأحداث الرئيسة. وأخيرًا، يمنح الفصل الخامس إجابات على بعض الأسئلة المطروحة حول النموذج المعتمد.

وقد استخدمتُ بعض الأمثلة، كتلك ذات الصلة بوحشيّة الشرطة على سبيل المثال. وكذلك، لا بدّ عليك من التفكير في أمثلتك الخاصة التي، من المفضّل، أن تمثّل قضايا تدرك تفاصيلها تمامًا لتحليلها. وبالتالي، لا يشكّل نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة سوى مجموعةً من أدوات التفكير فحسب التي لا بدّ من اعتمادها لممارسة ذلك بشكلٍ استراتيجيّ. لذلك، لا بدّ من التفكير في أمثلتك ماليًّا. فما الذي يمكنك القيام به في حال انفجرت إحدى الأسلحة النوويّة في مدينة قريبة؟ وما الذي يمكنك القيام به أيضًا لو نجحت في الكشف عن إحدى حالات الغشّ والاحتيال الضخمة التي قامت بها الحكومة؟ وفي هذا السياق، يعرض الفصل السادس بعض الأمثلة على ذلك. وتُتاح العديد من الأبحاث حول أداء الخبراء تظهر ضرورة قضاء الكثير من الوقت في ممارسة أصعب أجزاء المهمة لإتقانها.[4] فعلى سبيل المثال، إن أردت أن أتصبح ناشطًا فعّالاً، لا بدّ عليك من قضاء الكثير من الوقت في التفكير تكتيكيًّا واستراتيجيًّا. وفي هذا السياق، قد يشكّل نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة أداةً للمساعدة في تحقيق ذلك.

وعلى موقعي الإلكترونيّ، لقد حرصتُ على تضمين الكثير من المقالات التي تعتمد نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة. لذا، أرجو منكم إرسال نسخ أو روابط ذات صلة إلينا حتّى ننجح في توسيع قاعدة المعلومات المتاحة في هذا الشأن.[5] وفي هذا السياق، أُظهرُ اهتمامًا ملحوظًا في الاطّلاع على نقاط ضعف النموذج وإمكانيّات توسيع نطاقه ليشمل نطاقات جديدة، وذلك من خلال تعديله على سبيل المثال. وعلى مرّ السنين، اضطلعتُ بمهمة تطوير وتطبيق النموذج الذي بدأ يتغيّر تدريجيًّا والذي من المحتمل أن يخضع لتحسينات مستمرّة على حدّ سواء.

كلمة الشكر والتقدير

لقد اكتسبتُ الكثير والكثير من الدروس المستفادة حول مفهوم الإتيان بنتائج عكسيّة من المتعاونين معي وغيرهم من العديد من الأفراد الذين ساهموا في تقديم تعليقات ومراجع وممارسات ملهمة، هذا وبالإضافة إلى غيرها من الملاحظات القيّمة حول مسودّات هذا الدليل، بمن فيهم شارون كالاغان وكارن كينيدي ومايكن سورنسن وستيف رايت. وكذلك، أودُّ أن أتقدّم بخالص الشكر والتقدير ليورغن يوهانسن لتوفير الملحق ودعمه الاستثنائيّ لي.

1. نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة

[4] تشمل مصادر الأبحاث المتاحة للقراءة حول أداء الخبراء على سبيل المثال جيوفري كولفين، الموهبة مُبالغ في تقديرها: ما الذي يميّز أصحاب الأداء العالميين عن أيّ فرد آخر؟ (نيويورك: بينجوين، 2010)؛ دانيال كويل، شفرة الموهبة: التفوّق لا يولد بل ينمو، ها هي الطريقة (نيويورك: بانتام، 2009)؛ ديفيد شينك، العبقريّة في كلّ منّا: لماذا كلّ ما قيل لك عن الجينات الوراثيّة والموهبة ومعدّل الذكاء خطأ؟ (نيويورك: دوبلداي، 2010)

[5] عنوان البريد الإلكترونيّ: bmartin@uow.edu.au

في بعض الأحيان، قد تأتي الهجمات بنتائج عكسيّة على المهاجمين. وفي الواقع، فقد تعدّ كارثيّةً للغاية عليهم لدرجة أنهم قد يتمنّون لو أنهم لم يتسبّبوا بها قطّ!

- في عام 1991، ضربت شرطة لوس أنجلوس سائق سيّارة الأجرة، رودني كينغ، الذي حاول الفرار تفاديًا للاعتقال ضربًا مبرحًا. وبعد بثّ شريط الفيديو على شاشات التلفزيون، غضب المشاهدون وانخفضت معدّلات الدعم الشعبيّ المؤيّد للشرطة. وبالتالي، أتت وحشيّة الشرطة بنتائج عكسيّة عليها.
- في تسعينيّات القرن الماضي، رفعت شركة ماكدونالدز دعوى قضائيّة ضدّ هيلين ستيل ودايف موريس لإصدار نشرة تشهيريّة طالت سمعتها، ما أدّى إلى شنّ حملة هائلة لدعمهما وأسفر، بالتالي، عن الإتيان بنتائج عكسيّة على الشركة.
- في عام 2004، تحدّثت وسائل الإعلام عن تعذيب السجناء العراقيّين في سجن أبو غريب. وقد أظهرت الصور الرسوميّة حرّاس السجن الأمريكيّين يبتسمون بينما هم يعذّبون السجناء إذلالاً، وأحلقت، بالتالي، أضرارًا بالغةً بسمعة الحكومة الأمريكيّة وأتت بنتائج عسكيّة عليها، لا سيّما في منطقة الشرق الأوسط.
- في عام 1991، انضمّ آلاف الأفراد إلى موكب جنازة في مدينة ديلي، في تيمور الشرقيّة، للاستفادة من هذه المناسبة للاحتجاج سلميًّا ضدّ الاحتلال الإندونيسيّ. ومع دخول الموكب مقابر سانتا كروز، بدأت القوات الإندونيسيّة بإطلاق النار عليه فجأةً، ممّا أسفر عن مقتل المئات من الأفراد. وقد كان الصحفيّون الغربيّون حاضرين في الجنازة، وسجّلوا الأحداث التي وقعت. ونتيجة لذلك، أدّت شهاداتهم والأدلّة المجمّعة في هذا الشأن إلى تعزيز الدعم الدوليّ المقدّم لحركة تحرير تيمور الشرقيّة وإرساء أسس استقلالها بعد مرور عقد من الزمن. وبالتالي، أتت مجزرة المحتجّين السلميّين بنتائج عكسيّة على الحكومة الإندونيسيّة.

وتنطوي كلّ حالة من هذه الحالات على إحدى أوجه الظلم الشائعة، والمتمثّلة في وحشيّة الشرطة والرقابة والتعذيب. وبالتالي، تسبّب كلّ من أولئك الذين سعوا لشنّ هذه الهجمات، كالشرطة وشركة ماكدونالدز وحرّاس السجن الأمريكيّين والقوّات الإندونيسيّة، في إلحاق الضرر بأهدافهم. لكن، في كلّ مرّة، أتت هذه الهجمات بنتائج عكسيّة، وتسبّبت، بالتالي، في إلحاق أضرار أكبر بالمهاجمين وحلفائهم على حدّ سواء.

وقد تساهم النتائج العكسيّة، وبشكلٍ ملحوظ، في تعزيز الجهود المبذولة للتصدّي للظلم ومحاربته. ومع ذلك، لا تأتي معظم الهجمات، ولسوء الحظ، بنتائج عكسيّة. وفي هذا السياق، لا تكاد معظم أعمال الشرطة الوحشيّة أو إجراءات التشهير القانونيّة تُعرف، وغالبًا ما تجري أعمال التعذيب سرًّا. وكذلك، قد تساهم المجازر التي يُصعب حتّى إخفاءها، في توليد مشاعر قلق محدودة نسبيًّا.

فما الذي يحدث فعلاً؟ وما السبب الكامن وراء إتيان بعض الهجمات وليس غيرها بالتحديد بنتائج عكسيّة؟

وقعت مذبحة سانتا كروز أثناء جنازة سيباستياو غوميز عام 1991

في عام 1960، شهدت جنوب إفريقيا نشوء احتجاجات ضدّ القوانين العنصريّة المرعية الإجراء. وفي شاربفيل، أطلقت الشرطة النار على محتجّين سلميّين، ما أدّى إلى قتل حوالى مئة شخص منهم. وقد حاولت الشرطة والحكومة الحدّ من انتشار موجة الغضب. ومع ذلك، أدّت المجزرة إلى إلحاق الضرر بسمعة حكومة جنوب إفريقيا الدوليّة

وبالتالي، يشكّل نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة أسلوبًا لتحليل الهجمات المنفّذة، من شأنه تسليط الضوء على الإجراءات التي يتّخذها كلّ من الطرفين للحدّ من انتشار موجة الغضب الناتجة عن إحدى أوجه الظلم التي قد ترى النور أو حتّى تفاقمها.
ولا يهدف نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة لاطلاع الأفراد على الأمور التي يتعيّن عليهم القيام بها. وفي هذا السياق، يدرك النشطاء الكثير والكثير عن الأوضاع المحليّة القائمة، وبالتالي، يحظون بالوضعيّة الأفضل للحكم على الخيارات المتاحة في هذا الشأن. وكذلك، يشكّل النموذج أداةً عامةً من شأنها الإشارة إلى الأمور التي من المحتمل أو من الممكن أن تحدث، وبالتالي، مساعدة النشطاء في البتّ في قرارات اختيار ردود أفعالهم بحكمةٍ أكبر.
وباعتباره أداةً كغيره من النماذج الأخرى أيضًا، لا يضمن نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة تحقيق أيّ نجاحات محدّدة. فعلى سبيل المثال، تخيّل لو حظي الجيش بأفضل استراتيجيّة ممكنة لاعتمادها. فكم سيكون ذلك مفيدًا؟ أمّا الآن، فتخيّل لو كان الجيش يضمّ عددٌ قليل من القوّات أو مدرّبًا تدريبًا ضعيفًا أو يستخدم أسلحةً قديمةً. وفي هذه الحالة، يعدّ من غير المرجّح أن ينجح حتّى ومع اعتماد استراتيجية مميّزة. وبالمثل، قد يساعد نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة النشطاء في تطوير استراتيجيّات أفضل. ومع ذلك، لن يضمن ذلك تحقيق نجاحاتهم المنشودة، بل سيشكّل، بالتالي، عنصرًا واحدًا من عناصر العمليّة الأوسع نطاقًا.

الإتيان بنتائج عكسيّة: المفهوم الأساسيّ

عندما ترتكب إحدى المجموعات البارزة ذات النفوذ عملاً غير عادل، فقد يتمّ، على أثر ذلك، اتّخاذ إجراءات محدّدة للحدّ من انتشار موجة من الغضب الشعبيّ، تتمثّل في ما يلي:

- التستّر على الأفعال المرتكبة؛
- التقليل من قيمة الهدف؛
- إعادة تفسير الأحداث التي وقعت من خلال الكذب والتقليل من وطأتها وإلقاء اللّوم على الآخرين وتأطير الأوضاع القائمة؛
- استخدام القنوات الرسميّة لإعطاء انطباع بتطبيق العدالة؛
- ترهيب الأفراد المتورّطين أو مكافأتهم.

تُدان أعمال التعذيب عالميًّا. لذلك، عندما تلجأ الحكومات لاعتماد أفعال العنف والتعذيب، فمن المرجّح أن تقوم، وبالتالي، باستخدام إحدى هذه التقنيّات للحدّ من فتيل الغضب.

التستّر على الأفعال المرتكبة

عادةً ما ترتكب الحكومات أعمال التعذيب سرًّا، وتلجأ أحيانًا لاستخدام بعض الأساليب المحدّدة التي لا تترك سوى القليل من الأدلّة عليها، كالضرب على أخمص القدمين على سبيل المثال. وعند التستّر على هذه الأفعال المرتكبة، لن تنجح الأطراف الخارجيّة في الاطلاع عليها مطلقًا، وبالتالي، لن تشعر بالقلق إزاءها أبدًا.

تعذيب أحد أسرى سجن أبو غريب

التقليل من قيمة الهدف

تدّعي الحكومات أن السجناء الذين يخضعون للاستجواب، يعدّون من الإرهابيّين أو المجرمين أو المخرّبين أو غيرهم من فئات الأفراد غير المرغوب بهم مجتمعيًّا. وعندما يُنظر إلى أولئك الذين يتعرّضون للتعذيب باعتبارهم من الأفراد الخطيرين أو الحقراء، فتصبح الأفعال المرتكبة بحقّهم غير سيّئة للغاية.

إعادة تفسير الأحداث التي وقعت من خلال الكذب والتقليل من وطأتها وإلقاء اللّوم على الآخرين وتأطير الأوضاع القائمة

عندما تزعم الأطراف الخارجيّة وقوع حالات تعذيب، تدين الحكومات هذه الادّعاءات وترفض تواترها رفضًا قاطعًا، لا بل تدّعي أيضًا أنها تتمّ معاملة السجناء معاملةً حسنةً.

وعندما يُشيع استخدام بعض الأساليب المعيّنة، كالحرمان من النوم أو الإيهام بالغرق أو الحرمان الحسيّ على سبيل المثال، فتدّعي الحكومات عدم ارتكابها أعمالاً عنيفة للغاية، بحيث لم يتضرّر أيّ أحد بالفعل ولم تنطوِ على أيّ عواقب ضارّة جدًّا، وبالتالي، تحاول التقليل من وطأتها وآثارها المترتّبة، ووصف أعمال العنف المرتكبة وأساليب التعذيب المعتمدة باعتبارها إحدى أوجه الإساءة أو الإذلال فحسب.

وبالتالي، يتمّ استخدام اللغة تحقيقًا لهذه الأهداف المتمثّلة في التقليل من وطأة أعمال التعذيب وخطورتها.

وفي بعض الأحيان، تلقي الحكومات اللّوم على الحرّاس الذين يتصرّفون من تلقاء أنفسهم ومن دون أيّ إذن ممنوح في هذا الشأن، وذلك سعيًا لإعفاء كبار المسؤولين من هذه المسؤوليّة.

ووفقًا لوجهة نظرها الخاصة، تشير الحكومات إلى استخدامها أساليب استجواب مشروعة لاستخراج المعلومات الضروريّة سعيًا منها لتحقيق أغراض عاجلة. ويشكّل ذلك، إذًا، إطارًا أو أسلوبًا يتمّ من خلاله النظر إلى العالم الخارجيّ وتقييمه.

استخدام القنوات الرسميّة لإعطاء انطباع بتطبيق العدالة

في بعض الأحيان، تشتدّ الادّعاءات المشكّلة إزاء أعمال التعذيب المرتبكة، ما يدفع الحكومات لفتح تحقيق رسميّ أو حتّى مقاضاة بعض من المتورّطين فيها أحيانًا. وعادةً ما تركّز التحقيقات والمحاكم على الأفراد من ذوي المستويات الدنيا وليس صنّاع السياسات، ولا يتمّ فرض سوى عقوبات محدودة في هذا الشأن، ما يمنح انطباعًا بتطبيق العدالة فحسب، في الوقت الذي يتمّ فيه بذل جهود رمزيّة في هذا السياق.

وتنطوي القنوات الرسميّة على أمناء المظالم والمحاكم ولجان التحقيق وفرق الخبراء وإجراءات التظلّم وأيّ عمليّة أخرى يتمّ الاضطلاع بها لمعالجة المشاكل والتصدّي لها. وعادةً ما تسعى القنوات الرسميّة للحدّ من موجة الغضب الشعبيّ، وذلك نظرًا لاعتقاد الأفراد أنه يتمّ التعامل مع المشاكل في الواقع. وبسبب بطء عملها، غالبًا ما تتلاشى موجات الغضب مع مرور الوقت. وفي هذا السياق، تستخدم القنوات الرسميّة إجراءات معقّدة وتعتمد على عدد من الخبراء، كالمحامين، الأمر الذي من شأنه أن يحول دون مشاركة الأطراف الخارجيّة أو اهتمامها في الاضطلاع بذلك.

ترهيب الأفراد المتورّطين أو مكافأتهم

يشكّل التعذيب بنفسه شكلاً من أشكال الترهيب. وقد يخشى الأفراد الذين يتعرّضون للتعذيب من التحدّث عن ذلك علنًا، خوفًا منهم للتعرّض للتعذيب مجدّدًا. وفي الدول التي تطغى عليها حكومات قمعيّة، قد يشكّل احتجاج أفراد العائلة والأصدقاء والصحفيّين ومجموعات حقوق الإنسان خطرًا عليها جميعها، وذلك نظرًا لإمكانيّة أن تصبح هي بنفسها أهدافًا لها. وقد يتلقّى المسؤولون عن تقديم العطاءات الحكوميّة مكافآت تنطوي على ترقيات على سبيل المثال.
وبالتالي، تحدّ أعمال الترهيب من إمكانيّة التعبير عن الغضب الذي يشعر به الأفراد، وذلك نظرًا لخوفهم من العواقب التي قدّ تترتّب عن ذلك. ومع ذلك، تشكّل إمكانيّة تقديم مكافآت إغراءً للحفاظ على الهدوء أو المشاركة في أعمال التعذيب.

وفي ما يلي خمسة أساليب من شأنها الحدّ من فتيل الغضب وتحديد أوجه ارتباطها بحدثٍ ما وتصوّراتها وردود الأفعال المشكّلة بشأنه

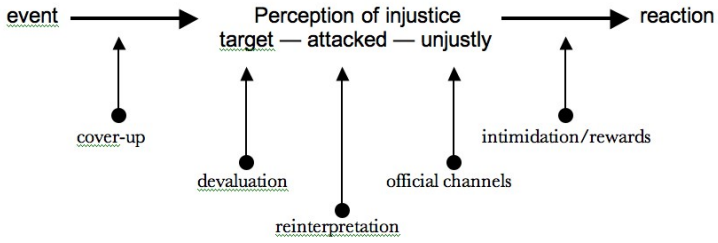

Event	الحدث
Perception of injustice	تصوّر الظلم المرتكب
Target – Attacked – Unjustly	مهاجمة الهدف ظلمًا
Reaction	ردّة الفعل
Cover-up	التستّر
Devaluation	التقليل من القيمة
Reinterpretation	إعادة التفسير
Official channels	القنوات الرسميّة
Intimidation/Rewards	الترهيب والمكافأة

فما الذي من الممكن القيام به لمواجهة هذه الأساليب الخمسة التي من شأنها الحدّ من فتيل الغضب إزاء ارتكاب أيّ ظلم ما؟ وبالتالي، يكمن الحلّ في مواجهة كلّ واحدة منها، وذلك من خلال:

- فضح ما ارتكب من أعمال ظلم؛
- التحقّق من الهدف: إظهار جوانب الطرف الذي تمّت مهاجمته الإيجابيّة؛
- تفسير الأحداث التي وقعت ظلمًا؛
- حشد الدعم العام وتجنّب اللجوء إلى القنوات الرسميّة؛
- مقاومة الترهيب والمكافآت.

فضح ما ارتكب من أعمال ظلم

قد يتولّى مناهضو التعذيب مهمة توثيق أعماله والكشف عن أدقّ تفاصيله علنًا، ما يشكّل إحدى الأدوات الأساسيّة التي تعتمدها منظمة العفو الدوليّة في هذا الشأن وتحديًا لمساعي التستّر على الأفعال المرتكبة، بحيث تؤدّي الصور المعمّمة دورًا بارزًا في هذه العمليّة.

التحقّق من الهدف: إظهار جوانب الطرف الذي تمّت مهاجمته الإيجابيّة

لا بدّ من إثبات أن الأفراد الذين يتعرّضون للتعذيب هم من البشر. وبالتالي، تساعد الصور والتفاصيل الشخصيّة في جعل الأهداف تبدو وكأنّها مثل غيرها من الأفراد، وتشكّل، بالتالي، تحديًّا يطال التسميات المهينة أو الصور العقليّة المشكّلة بشأنها.

تفسير الأحداث التي وقعت ظلمًا
قد يتمّ توفير معلومات حول ما الذي يحدث في الواقع لمواجهة الأكاذيب، وحول آثار التعذيب المدمّرة للتصدّي لمساعي التقليل من وطأة أعمال التعذيب المرتكبة، وحول الأطراف المسؤولة عنها بالفعل للحدّ من إلقاء اللّوم على الآخرين، وحول الأضرار الناجمة عن ذلك لمكافحة جهود تأطير الأوضاع القائمة على حدّ سواء.

حشد الدعم العام وتجنّب اللجوء إلى القنوات الرسميّة
تشير مساعي حشد الدعم العام إلى جذب الأفراد لتبنّي وجهة نظرك نفسها ورؤية الأمور من منظورك الخاص، وتشجيعهم على الانضمام إلى حملاتك والاحتجاج ضدّ أعمال التعذيب المرتكبة. وفي هذا السياق، تشكّل إثارة الغضب أسلوبًا أساسيًّا لمواجهة الظلم. وبالنظر إلى تسبّب القنوات الرسميّة في إضعاف موجات الغضب هذه، فيعدّ من الأفضل تجنّب اللّجوء إليها إذًا أو حتّى الاعتماد عليها على الأقلّ.

بعد كارثة مفاعل تشرنوبل في عام 1986، استخدمت الحكومة السوفييتيّة تقنيات مختلفة للحدّ من موجات الغضب الشديدة الثائرة، إلّا أن جهودها المبذولة هذه في هذا الشأن قد باءت معظمها بالفشل

مقاومة الترهيب والمكافآت
لا بدّ على بعض الأفراد من الوقوف في وجه الترهيب ومقاومته، وذلك من خلال التحدّث عن أعمال التعذيب التي قد يتعرّضوا لها على سبيل المثال. وفي هذا السياق، يعدّ من المفيد أيضًا توثيق أعمال الترهيب وفضحها، الأمر الذي من شأنه أن يُثير موجات أكبر من الغضب والمساهمة، بالتالي، في الإتيان بنتائج عكسيّة. وبالمثل، يتعيّن على بعض الأفراد مقاومة الإغراءات الكامنة وراء المكافآت التي من الممكن تقديمها للوفاء بهذه الأغراض المنشودة.

وبالتالي، يساهم استخدام أنواع الأساليب الخمسة هذه في تعزيز احتماليّة أن تأتي الهجمات بنتائج عكسيّة. ومع ذلك، تعتمد النتائج المترتّبة على الصراع القائم على مجموعة واسعة من العوامل المختلفة.
وفي هذا السياق، يشكّل نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة دليلاً يتضمّن التكتيكات التي من المحتمل أن يعتمدها مرتكبو الانتهاكات للحدّ من موجة الغضب، وغيرها من أنواع التكتيكات الأخرى التي قد تساهم في تفاقم حدّتها. ومع ذلك، يعتمد كلّ ما يحدث في الواقع على الظروف السائدة والأفراد المتورّطين في هذه العمليّات والقرارات التي يتمّ اتّخاذها في هذا الشأن.

ما هي العناصر التي لا يتضمّنها نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة؟

- خيار الأساليب المعتمدة: أينبغي بذل جهود إضافيّة من أجل الكشف عن أوجه الظلم أو التصدّي لمساعي التقليل من قيمة الهدف أو الاضطلاع بتحقيق أيّ هدف آخر؟ لذلك، لا بدّ على الأفراد المتورّطين من اتّخاذ القرارات المناسبة بشأن الأساليب التي لا بدّ من اعتمادها، وذلك بناءً على الظروف السائدة.
- التوقيت: ما هو الوقت المناسب لفضح الظلم؟ ربما ليس عندما تكون وسائل الإعلام منهمكةً بقضايا أخرى مختلفة، كالكوارث الطبيعيّة أو قصص المشاهير، أو عندما لا تكون الحركة جاهزةً للاستفادة من موجات الغضب السائدة. لذلك، تعدّ عمليّة اختيار التوقيت المناسب أمرًا مهمًّا للغاية.
- المعارف المحليّة المكتسبة: يدرك الأفراد المتورّطون، وبشكلٍ عميق، في قضيّة معيّنة الكثير من المعلومات ذات الصلة بالتاريخ والديناميّات الاجتماعيّة والحجج والشخصيّات وغيرها الكثير. لذلك، يمنح نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة إطارًا عامًا فحسب. وبالتالي، تعدّ المعارف المحليّة ضروريّةً لتوفير رؤية ثاقبة حول الأمور التي لا بدّ من الاضطلاع بها.
- الثقافة والقيم السائدة: يعتمد تقييم الأفراد للأوضاع القائمة باعتبارها عادلةً أو غير عادلة على ثقافتهم المكتسبة وقيمهم السائدة. وبالتالي، يعتمد نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة على الوضع القائم الذي ينطوي على مجموعة المعتقدات والسلوكيات المعتمدة حاليًّا. وفي حال تغيّرت معتقدات الأفراد المشكّلة إزاء الظلم بسبب تأثّرها بالحملات التي يتمّ شنّها في هذا السياق، عندها ستتغيّر الأسس التي تستند إليها موجات الغضب المثارة.
- التغيير الطويل الأمد: يتطرّق نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة للتعامل مع ردود الأفعال الناتجة عن الأعمال المرتكبة، إلّا أنه لا يتناول الأسلوب الذي يتمّ من خلاله إحداث التغيير المنشود على المدى الطويل.

كيف من الممكن أن يساعد نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة في التصدّي لذلك؟

- يفكّر العديد من النشطاء، وبشكلٍ أساسيّ، في الخطوات المقبلة التي سيتّخذوها، والتي تنطوي، على سبيل المثال، على تنظيم مسيرة أو شنّ حملة ما. وفي هذا السياق، يسلّط نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة الضوء على الأفعال التي سيرتكبها المعارضون، لا سيّما التكتيكات التي سيستخدموها من أجل الحدّ من فتيل الغضب.
- يعتقد بعض النشطاء أن القنوات الرسميّة توفّر حلّاً مناسبًا. فعلى سبيل المثال، قد يسعون، وفي بعض الأحيان، لشنّ حملة لتحفيز الحكومة على فتح تحقيق رسميّ. وبالتالي، يسلّط نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة الضوء على عيوب القنوات الرسميّة، لا سيّما الأسلوب الذي يتمّ من خلاله الحدّ من فتيل الغضب المنتشر.
- غالبًا ما يعتقد النشطاء أن الظلم يولّد موجة غضب تلقائيّة. فعلى سبيل المثال، إن بادرت الشرطة بضرب المحتجّين أو تخلّفت الحكومة عن تطبيق القانون المرعيّ الإجراء، فسيعتقد النشطاء أن الجميع سيرون مدى ظلم هذه الأحداث التي ارتكبت. وفي هذا السياق، يوضّح نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة مجموعة التقنيّات الواسعة التي قد يستخدمها مرتكبو الانتهاكات للحدّ من فتيل الغضب.

2. تحليل النتائج العكسيّة

عند وقوع حدث سيء، كالتحرّش الجنسيّ أو الفصل التعسّفيّ أو الكارثة البيئيّة أو القتل التعسّفيّ، يتمّ تحليل النتائج العكسيّة، باعتباره ذلك أسلوبًا معنيًّا بدراسة الصراع الذي تنطوي عليه ردود أفعال الأفراد إزاء الوضع القائم.

وغالبًا ما يتفاعل الأفراد مع الأمور السيّئة، وذلك من خلال الشعور بالقلق أو الغضب أو الاشمئزاز أو الانزعاج.[6] وفي غالب الأحيان، سأستعينُ بمصطلح "الغضب"، في الوقت الذي تعدّ فيه الأوصاف الأخرى جميعها ذات صلة أيضًا.

وعند تحليل النتائج العكسيّة، يتمّ التركيز على التكتيكات المعتمدة التي تعدّ أفعالاً وأعمالاً يضطلع بها الأفراد، في الوقت الذي يتمّ فيه التعذّر عن توضيح السبب الكامن وراء وقوع بعض الأحداث.

وعند النظر إلى التكتيكات المعتمدة، يتمّ التركيز على الأساليب التي يتمّ من خلالها الحدّ من فتيل الغضب أو تفاقمه.

---

[6] في بعض الأحيان، تكون ردود أفعال الأفراد أقرب إلى اللامبالاة أو اليأس، الأمر الذي لا يعدّ مفيدًا عند السعي لمعارضة الأحداث السيئة

فما السبب الكامن وراء الرغبة في تحليل النتائج العكسيّة؟ لقد وقع الحدث بالفعل، ولم يعد من الممكن القيام بأيّ شيء حيال ذلك. أولاً، قد يساهم التحليل في توفير رؤية ثاقبة على التكتيكات التي يستخدمها مرتكبو الانتهاكات، وذلك من أجل الاطلاع على كيفيّة عملها والاستعداد، وبشكلٍ أفضل، للمرّة المقبلة. وثانيًا، قد يتمّ استخدام تحليل النتائج العكسيّة من أجل رفع مستوى وعي الأفراد بشأن الصراعات التي تنشأ بسبب موجات الغضب. وثالثًا، قد يساهم تحليل النتائج العكسيّة في تغيير الأسلوب الذي يتفاعل الأفراد من خلاله مع القضايا المطروحة، سواء من خلال جعلهم يشعرون بالغضب أو بالعزيمة للمضيّ قدمًا. وفي الوقت الذي يطّلعون فيه على التقنيّات التي يستخدمها مرتكبو الانتهاكات، لا سيّما تلك ذات الصلة بالترهيب والتستّر على الأفعال المرتكبة والتقليل من قيمة الهدف، فقد يصبحون أكثر تعاطفًا مع أهداف الهجوم.

وفي هذا الفصل، سيتمّ تحليل النتائج العكسيّة، وذلك من خلال جمع المعلومات أولاً ومنح ثلاثة أمثلة على ذلك، ومن ثمّ، تصنيف التكتيكات ضمن الفئات التالية والمتمثّلة في التستّر على الأفعال المرتكبة والتقليل من قيمة الهدف وإعادة تفسير الأحداث التي وقعت واستخدام القنوات الرسميّة وترهيب الأفراد المتورّطين أو مكافأتهم، وأخيرًا صياغة قصة عن نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة.

جمع المعلومات

من أجل تحليل النتائج العكسيّة، لا بدّ من جمع الكثير من المعلومات ذات الصلة من الكتب والمقالات والمدونات والمقابلات والملاحظات الشخصيّة. فلنفترض أن الهدف المنشود يتمثّل في تحليل التكتيكات المستخدمة في إحدى المسيرات الكبيرة حيث اعتدت الشرطة على المحتجّين واعتقلتهم أيضًا. فمن الممكن الحصول، إذًا، على التقارير الإخباريّة والمدونات والصور ومواد المقابلات وغيرها من مصادر المعلومات للاستفادة من معطياتها. وإن تمّ تنظيم المسيرة في عام 1915، فسيتعيّن الاعتماد، وبشكلٍ كليّ، على المستندات الأرشيفيّة، وذلك باعتبار أن كلّ من كان يشارك فيها آنذاك، أمسى اليوم في دنيا الحقّ. ومع ذلك، ربما قد سمع أبنائي وأبناء أبنائي بهذه القصص والأحداث.

أمّا لو حدثت المسيرة موخرًا، فكان من الممكن التحدّث مع المئات أو حتّى الآلاف من الأفراد الذين شاركوا فيها. وبالمثل، لو شكّلت المسيرة حدثًا إخباريًّا ضخمًا، فكان من الممكن الحصول على المئات من القصص الإعلاميّة. وبالتالي، لا يعدّ من الضروريّ الحصول على كافة المعلومات الممكنة، بل على ما يكفي منها فحسب، وهو أمر سأتطرّقُ لمعالجته وتناوله لاحقًا.

وإن كان ذلك ممكنًا، لا بدّ من الحصول على معلومات من كلا الطرفين، وهما المحتجّين والشرطة على حدّ سواء. لذلك، يتعيّن البحث في نشرات وقصص الشرطة الإخباريّة، والنظر في إجراء مقابلات معها. وبالتالي، تساهم عمليّة جمع معلومات من وجهات نظر مختلفة في توفير رؤى أدقّ على التكتيكات المعتمدة. وعلاوةً على ذلك، سيساهم استخدام مجموعة من المصادر المختلفة في تعزيز مصداقيّة التحليل.

وفي بعض الأحيان، قد تتعدّد الأطراف وتتنوّع. فقد يحظى السياسيّون أو المعلّقون الإعلاميّون بوجهات نظر مختلفة عن تلك الخاصة بالمحتجّين أو الشرطة. وفي ما يلي ثلاثة أمثلة على الأساليب المعتمدة لجمع المعلومات اللازمة لتحليل النتائج العكسيّة.

المثال الأوّل: رودني كينغ

في 3 آذار/مارس 1991، ألقت شرطة لوس أنجلوس القبض على رجل يُدعى رودني كينغ كان يقود سيّارته تحت تأثير الكحول هاربًا من الشرطة. وأثناء عمليّة المطاردة والاعتقال، استخدمت هذه الأخيرة مسدّسات الصعق الكهربائيّ وبادرت بضرب الرجل بالهراوات المعدنيّة عشرات المرّات. وفي هذا السياق، تولّى أحد الشهداء تسجيل ذلك على أشرطة فيديو من شقّة سكنيّة قريبة وعرضها على شاشات التلفزيون، الأمر الذي ساهم في ظهور ردود عكسيّة ملحوظة ضدّ الشرطة.

لقطة من شريط الفيديو الذي يظهر الاعتداء بالضرب على رودني كينغ

لذلك، قرّرتُ التحقيق في حادث الاعتداء على كينغ، والنظر إليه باعتباره إحدى الأمثلة المقدّمة على نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة. وباعتبارها من أبرز القضايا السائدة آنذاك، افترضتُ أنني سأنجح في الوصول إلى الكثير من المواد المتاحة التي من شأنها تحديد التقنيّات المستخدمة للحدّ من انتشار موجة الغضب والترويج لها على حدّ سواء. وكنتُ على حقّ تمامًا! وبالتالي، نجحتُ في الحصول على حوالي عشرة كتب تتطرّق لمعالجة مواضيع الاعتداء بالضرب والتصدّي لها، دعم بعض منها الشرطة، والبعض الآخر كينغ، في حين تعذّر آخرون عن اتّخاذ أيّ موقف واضح في هذا الشأن، هذا وبالإضافة إلى عدد من المقالات الجيّدة التي تناولت الموضوع نفسه أيضًا. ومن ثمّ، بدأتُ بتصفّح هذه الكتب، وتدوين بعض الملاحظات المستخلصة منها، لا سيّما تلك ذات الصلة بالأساليب التي قد تؤثّر على فتيل الغضب المثار. فعلى سبيل المثال، فقد اطلعتُ على "قانون الصمت داخل جهاز الشرطة" غير المكتوب الذي يفيد بأن ضبّاط الشرطة لا يبلّغون أبدًا عن الانتهاكات التي يرتكبها زملاؤهم، واكتشفتُ أن 20 عنصرًا من عناصر الشرطة كانوا حاضرين وقت الاعتقال، إلّا أن واحدًا منهم لم يبلغ عن أيّ مشكلة وقعت، وهو ما يشير إلى عمليّة التستّر على الأفعال المرتكبة، وبالتالي، التعذّر عن الكشف عن أيّ اعتداء حصل، حتّى ولو كان قاسيًا للغاية.
ولكثرة توافر المواد المطبوعة، فقد قرّرتُ ألّا أسعى لإجراء مقابلات في هذا الشأن، بل الاعتماد على تلك المتعمّقة منها التي أجراها الصحفيّون والمحقّقون مع مختلف الأفراد المعنيّين في هذا الشأن. وفي بعض الأحيان، تظهر بعض الاختلافات البسيطة بين مختلف مصادر المعلومات المقدّمة، لذلك، كان لا بدّ عليّ من البتّ في اختيار الأنسب من بينها.[7]

المثال الثاني: إقالة تيد ستيل
في عام 2001، أُقيل أستاذ علم الأحياء المشارك المثبّت، تيد ستيل، من المنصب الذي يتقلّده في جامعة وولونغونغ من دون سابق إنذار، حيث أعملُ أيضًا، بسبب منح بعض الطلّاب علامات أعلى ممّا يستحقّون. وقد أثار ذلك اهتمام وسائل الإعلام، حيث تمّ الدفاع عن ستيل استنادًا إلى أسس حريّة التعبير، ما أسفر عن الإساءة إلى سمعة الجامعة، وبالتالي، الإتيان بنتائج عكسيّة عليها على مدى فترة طويلة من الزمن.
و عادةً، لا أفضّلُ الاضطلاع بدراسة حالات تقع أحداثها ضمن أيّ منظمة أتعامل شخصيًّا معها، بحيث يعدّ من الأفضل أن يتولّى طرف خارجيّ مهمة تحليلها ومعالجتها بأسلوبٍ أكثر توازنًا ومصداقيّةً واستقلاليّةً. ومع ذلك، لم يضطلع أحدٌ بإجراء تحليل متعمّق لذلك، على الرغم من تغطية حدث الإقالة والإجراءات القانونيّة المترتّبة عليها تغطيةً واسعة النطاق. لذلك، قررتُ أن أكتب مقالةً عن القضيّة، وذلك في جزء منه للدفاع عن إدارة علوم الأحياء التي باتت ضحيّة مزاعم ستيل والضجّة الناتجة عن إقالته.
وفي هذا السياق، قرّرتُ أيضًا الامتناع عن إجراء أيّ مقابلة لكثرة توافر المواد المنشورة المتاحة في هذا الشأن. وباعتباري أحد أكاديميّي الجامعة، كانت تُتاح لي إمكانيّة الوصول إلى رسائل البريد الإلكترونيّ التي يعود تاريخها إلى سنوات عديدة الواردة من ستيل وآخرين غيره، لا سيّما تلك ذات الصلة بالتحديات التي واجهها ستيل مع إدارة الجامعة. وكذلك، حضرتُ اجتماعًا هامًا عقده فرع الاتّحاد الوطنيّ للتعليم العاليّ المحليّ الذي يضمّ أكاديميّين من جميع أنحاء أستراليا، تمّ في خلاله مناقشة قضيّة دعم ستيل،

[7] براين مارتن، "الاعتداء على رودني كينغ: ديناميكيّات النتائج العكسيّة"، علم الإجرام النقديّ، المجلّد (13)، العدد (3)، 2005، الصفحة 307 – الصفحة 326

هذا وعلى الرغم من رفض العديد من زملائه تقديم الدعم الضروريّ له. وبعد نشر مقالتي في إحدى الصحف، تناول عدد أكبر من الأفراد موضوع هذه القضيّة، وتمكّنتُ، بالتالي، من استنتاج معلومات إضافيّة منهم أيضًا والتحقّق من صحّتها على حدّ سواء.
وبعد أن انتهيتُ من كتابة مسودّة مقالتي، حرصتُ على إرسالها لكافة الجهات الفاعلة الرئيسة، بما في ذلك ستيل ونائب العميد وأعضاء إدارة علوم الأحياء والاتّحاد الوطنيّ للتعليم العاليّ. ولم يستجيب إلّا بعض منهم إليها من خلال تقديم بعض الملاحظات المحدّدة التي سمحت لي بتعديل بعض النقاط فيها، في الوقت الذي بذلتُ فيه قصارى جهدي للانتباه إلى كلّ كلمة أكتبها باعتبار أن القضيّة كانت لا تزال حديثةً.[8]

المثال الثالث: أسطول الحريّة إلى غزّة – 2010
في شهر أيار/مايو من عام 2010، انطلق أسطول بحريّ مؤلّف من ستّ سفن لإيصال الإمدادات الإنسانيّة إلى غزّة، متحدّيًا الحصار الذي فرضته الحكومة الإسرائيليّة. وفي هذا السياق، هاجمت وحدة كوماندوز إسرائيليّة الأسطول، ما تسبّب في قتل تسعة ركّاب واحتجاز البقيّة وجرح العديد من الأفراد الآخرين، بمن فيهم من عناصر من فوج المغاوير. وقد أدّى هذا الهجوم على الأسطول البحريّ إلى تغطية إخباريّة ملحوظة حول العالم، وشكّل، بالتالي، كارثةً هائلةً على الحكومة الإسرائيليّة.
وتشكّلت معظم التعليقات حول الأحداث التي وقعت وسواءً كانت مبرّرةً أم لا. لذلك، قرّرتُ إجراء تحليل للنتائج العكسيّة، سعيًا لتسليط الضوء على التكتيكات التي تستخدمها الحكومة الإسرائيليّة للحدّ من فتيل الغضب. وكذلك، أُتيحت العديد من المواد الإعلاميّة التفصيليّة للاعتماد عليها، فضلاً عن غيرها من المواد المتوفّرة عبر شبكة الإنترنت. ومع ذلك، لم أحاول الاطلاع عليها جميعها، باعتبار أن ذلك كان سيستغرق وقتًا طويلاً وأنني كنت قد قررت الانتهاء من هذه المهمة في غضون أسابيع فحسب. وبلا أدنى شكّ، كان من الممكن تحسين تحليلي من خلال الحصول على المزيد من المعلومات من مصادر إسرائيليّة وعدد من أعضاء الأسطول البحريّ، إلّا أن تلك المتاحة منها كانت أكثر من كافية لتحقيق أغراضي المنشودة، والمتمثّلة في إجراء تحليل قصير وسريع.[9]

المعلومات وجودتها
من أجل تحليل النتائج العكسيّة، لا بدّ من الحصول على معلومات حول كلّ ما جرى من أحداث. ولا يعدّ ذلك دائمًا أمرًا سهلاً. ففي بعض الحالات البارزة، كحادث الاعتداء بالضرب على رودني كينغ أو الهجوم على الأسطول البحريّ، تُتاح الكثير من المعلومات العامة ذات الصلة. أمّا في الحالات الأخرى، كتلك التي تنطوي على اعتقال ناشط محليّ على سبيل المثال، فقد لا يُتاح الكثير من

[8] براين مارتن، "ارتدادات الحريّة الأكاديميّة"، أماكن العمل: مجلة العمل الأكاديمي، المجلّد (6)، العدد (2)، حزيران/يونيو 2005، http://www.bmartin.cc/pubs/05workplace.html
[9] براين مارتن، "تكتيكات الأسطول البحريّ: كيف أتى الهجوم الإسرائيليّ بنتائج عكسيّة؟"، تروث أوت، 27 تموز/يوليو 2010

المعلومات في هذا الشأن ما لم يتمّ التطرّق للحديث مع الأفراد المعنيّين. وفي هذا السياق، قد تتعذّر الشرطة عن الحديث أو تقديم أيّ من المعلومات المطلوبة لإجراء التحليل.
وحتّى لو نجحت في الحصول على بعض المعلومات، لا بدّ عليك من الحكم على جودتها وتقييمها. فقد يتمّ الكذب عليك أحيانًا أو محاولة إخفاء بعض المعلومات الهامة عنك أو حتّى ردعك من تقديم ملاحظاتك، وذلك من خلال التهديد برفع دعوى قضائيّة ضدّ التشهير على سبيل المثال. وقد يبتكروا القصص أيضًا لتشويه الوقائع. فعند جمع المعلومات، لا بدّ عليك من اتّخاذ الاحتياطات اللازمة التي عادةً ما يعتمدها الباحث أو الصحفيّ الاستقصائيّ، والمتمثّلة في الحكم على جودة الأدلّة المقدّمة وتقييم مصداقيّة مصادرها والحصول على المعلومات من مصادر مستقلّة متعدّدة. ومع البدء بتجميع معطيات القصة شيئًا فشيء، فقد ترغب بالتحقيق، وبشكلٍ أدقّ، في بعض القضايا، لا سيّما تلك ذات الصلة بالتستّر على الأفعال المرتكبة وترهيب الأفراد المتورّطين، حيث من المرجّح وقوع حالات من الاحتيال والتشويه.

الانحياز إلى طرف ما
لا بدّ من الاستعداد لمواجهة وجهات نظر صارمة للغاية يتمّ التعبير عنها بحماسٍ وتتضارب في بعض الأحيان بين بعضها البعض على نقاط أساسيّة. فعلى سبيل المثال، غالبًا ما يُنظر إلى الإبادة الجماعيّة التي وقعت في رواندا عام 1994 باعتبارها عمليّة قتل جماعيّ ارتكبتها مجموعة الهوتو العرقيّة بحقّ شعوب التوتسي. ومع ذلك، قُتل العديد من أفراد مجموعة الهوتو المعتدلين، بحيث لم يكن القتل قائمًا على أساس العرق فحسب، بل استند أيضًا إلى خلفيّات سياسيّة. وكذلك، ترتكب الجبهة الوطنيّة الرواندية التي تقودها شعوب التوتسي، وبدورها، عمليّات قتل يرفض بعض مؤيّدي الجبهة الاعتراف بها.

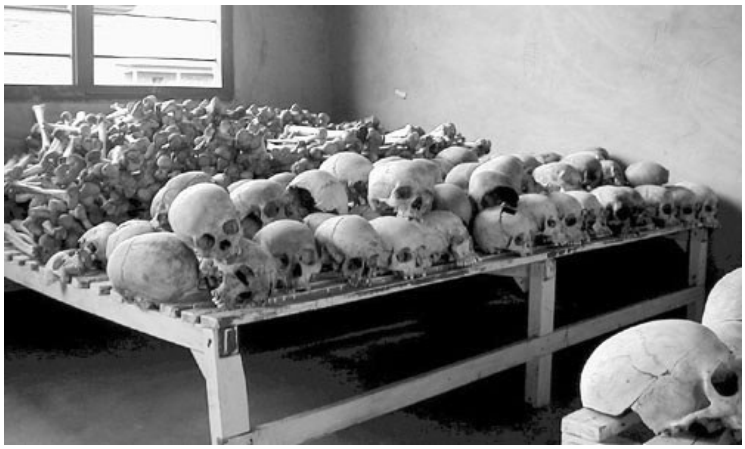

جروح بليغة عميقة تسبّب بها القتلة تظهر على الجماجم التي تملأ إحدى غرف مدرسة مورامبي

وتشير هذه الأنواع من الاختلافات إلى تعذّر تحليل النتائج العكسيّة عن اتّخاذ طابع محايد. فقد تقرّر التركيز على الأساليب التي استخدمتها الحكومة الرواندية خلال الإبادة الجماعيّة والتي من شأنها الحدّ من فتيل الغضب[10]، أو النظر في التقنيّات التي اعتمدتها الجبهة الوطنيّة الرواندية للحدّ من موجة الغضب نفسها التي تشكّلت إزاء الفظائع التي ارتكبها أعضاؤها، أو حتّى الاضطلاع بهما معًا. وفي هذه الحالة، فقد ينتهي بك الأمر إلى إجراء تحليل غير متوازن، وذلك نظرًا لتوافر معلومات حول طرف واحد أكثر من الآخر، أو لاعتبار الفظائع التي ارتكبها أحد الطرفين أسوأ بكثير من تلك التي تسبّب بها نظيره.

[10] هذا هو الأسلوب الذي اعتمدّته في تقرير "السيطرة على فتيل الغضب من الإبادة الجماعيّة: دراسة حالة جمهورية رواندا"، التغيير والسلام والأمن العالمي، المجلّد (21)، العدد (3)، 2009، الصفحة 275 – الصفحة 290

مذبحة ماي لاي – 1968
خلال الحرب الهندوصينيّة، قتلت القوّات الأمريكيّة مئات المدنيّين الفيتناميّين في قرية ماي لاي. وبعد التستّر على هذه الجريمة لمدّة سنة، أحدثت المذبحة ردود أفعال شعبيّة ضخمة ضدّ الحكومة الأمريكيّة وسياستها الحربيّة

وفي هذا السياق، من الممكن تحليل هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر كعمليّة أتت بنتائج عكسيّة. فلم يبذل إرهابيّو تنظيم القاعدة سوى القليل من الجهود لردع موجات الغضب، حيث شنّوا هجومهم علنًا، ولم يتمّ التستّر على أفعالهم المرتكبة كليًّا. وبالتالي، لم يتمتّع تنظيم القاعدة سوى بقدرةٍ محدودة على التقليل من قيمة المتضرّرين واستخدام القنوات الرسميّة. وبعد هذه الهجمات، لم يعد التنظيم يتحلّى بالقدرات اللازمة لمواصلة أعمال الترهيب التي كان يضطلع بها. أمّا بالنسبة لحملة القصف الجويّ على أفغانستان التي تمّ شنّها كعمل انتقاميّ في تشرين الأوّل/أكتوبر 2001، فقد أسفرت عن مقتل الآلاف من المدنيّين، ومع ذلك، لم تولّد أيّ فتيل غضب في دول الغرب[11] . فعندما تضطلع بتحليل النتائج العكسيّة، لا بدّ عليك من اتّخاذ خيار يتمثّل في إمّا النظر إلى هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر أو إلى حملة القصف الجويّ على أفغانستان أو إلى أيّ حدث آخر.

أساليب التصنيف
تعدّ الأساليب الخمسة، المتمثّلة في التستّر على الأفعال المرتكبة والتقليل من قيمة الهدف وإعادة تفسير الأحداث التي وقعت واستخدام القنوات الرسميّة وترهيب الأفراد المتورّطين أو مكافأتهم، أسلوبًا ملائمًا لتصنيف الإمكانيّات المتاحة المستخدمة للحدّ من فتيل الغضب. وفي بعض الأحيان، قد تتداخل في ما بعضها البعض أو حتّى تنقسم إلى أساليب فرعيّة. ومع ذلك، يعدّ من المفيد التفكير في الاختلافات القائمة في ما بينها وتحليلها.

وفي هذا السياق، ينطوي *التستّر على الفعل المرتكب* على أيّ عمليّة تمنع الأفراد من إدراك وقائع الحدث الذي يجري، وبالتالي، تأخذ صفة الاختباء أو التمويه.

[11] بريندان ريديك، "حملة القصف الجويّ على أفغانستان: التقارب بين وسائل الإعلام والسلطة السياسيّة السائدة للحدّ من فتيل الغضب"، مجلّة السلام والصراعات، العدد (5)، 2012، الصفحة 6 – الصفحة 19

في 27 كانون الأوّل/ديسمبر، قُتل ما لا يقلّ عن 10 مدنيّين أفغان، بما في ذلك ثمانية طلّاب، أثناء معارك القتال التي شاركت فيها القوّات الغربيّة في مقاطعة نارانغ في إقليم كونار في أفغانستان

وبالتالي، غالبًا ما يشكّل التستّر على الأفعال المرتكبة الأسلوب الأكثر فعاليّةً لمنع انتشار موجات الغضب. فإن لم يدرك أحدٌ وقوع جريمة قتل ما، لن تعمّ حالات من الغضب أو الانزعاج المنطقة، والمستخدم أولاً في العديد من حالات الانتهاك المرتكبة في الوقت الذي تعدّ فيه الأساليب الأخرى غير ضروريّة بالفعل. أمّا في حال إخفاقه، فقد يلجأ المهاجمون إلى استخدام تقنيّات أخرى.
وتتعلّق عمليّة التستّر على الأفعال المرتكبة بالجماهير. فعلى سبيل المثال، قد يكون الصحفيّون على علم بالفساد السياسيّ السائد. لكن، في حال تعذّر وسائل الإعلام عن الإفصاح عن وقائعه، فلن يتمكّن الجمهور العام من إدراك ذلك.
أمّا بالنسبة للرقابة، فتختلف عن التستّر على الأفعال المرتكبة، بحيث يتمّ من خلالها، وبشكلٍ فعّال، منع الوصول إلى المعلومات أو أيّ معطيات أخرى، وذلك بمقتضى بعض أحكام القوانين المرعيّة الإجراء أو السياسات المعتمدة. وفي بعض الأحيان، تتّخذ الرقابة طابعًا سريًّا أيضًا، بحيث يتمّ التستّر على وجودها أصلاً. وبالتالي، يتمّ تطبيق عمليّة التستّر على الأفعال المرتكبة من خلال وسائل أخرى تختلف عن تلك المعتمدة أثناء فرض مبادئ الرقابة على أيّ معلومات محدّدة.
فعلى سبيل المثال، لا تكون الشرطة دائمًا على علم بالعديد من أعمال الوحشيّة التي يرتكبها بعض من عناصرها المتورّطين،[12] الذين لا يفصحون عن كافة الأعمال المرتكبة إلّا ربما لبعض من زملائهم الذين قد يحافظون على سريّة الموضوع. وكذلك، فقد لا يخبر المتضرّرون من الاعتداءات بالضرب عليهم أحدًا بسبب الإحراج أو خوفهم من تعرّضهم لمزيد من المضايقات أو الاعتداءات على يدّ الشرطة، ما يمثّل ذلك إحدى تكتيكات الترهيب المعتمدة. وعندما يطّلع الصحفيّون على حالات الاعتداءات بالضرب، فقد يتعذّرون عن الإبلاغ عنها، وذلك لتبنّيهم وجهة النظر نفسها التي تعتمدها الشرطة، ما يشكّل تكتيك إعادة تأطير الأوضاع القائمة.
ومع ذلك، لا يتمّ فرض أيّ رقابة رسميّة على اعتداءات الضرب التي ترتكبها الشرطة، إلّا أن المعلومات المتاحة حولها تبقى مقيّدةً، الأمر الذي من شأنه أن ينطوي على إحدى أنواع التستّر الفعليّ الذي يحدث من خلال مجموعة من العمليّات المختلفة.

أمّا بالنسبة لمساعي *التقليل من قيمة الهدف*، فتنطوي على التقليل من شأن فرد أو مجموعة أو كائن ما أو مركزه أو رأيه. وبالتالي، تشكّل التحيّزات، بما في ذلك العنصريّة أو التحيّز الجنسيّ، شكلاً من أشكال هذه المساعي التي تكون، وفي بعض الأحيان، متجذّرةً بعمقٍ في ثقافة إحدى المجتمعات، وتنطوي، بالتالي، على عمليّة نشطة، كتلك ذات الصلة بوصف الفرد باعتباره منحرفًا أو مجرمًا أو إرهابيًّا، أو بنشر معلومات ضارة تتعلّق، على سبيل المثال، بعضويّة أحد الأفراد في منظمة غير شعبيّة.

[12] ريجينا ج. لورانس، سياسة القوّة: وسائل الإعلام ووحشيّة الشرطة (بيركيلي: دار نشر جامعة كاليفورنيا، 2000)؛ شارل ج. أوغليتري جونيور، ماري بروسير، أبي سميث وويليام تالي جونيور؛ معهد العدالة الجنائية في كلية الحقوق بجامعة هارفارد والجمعية الوطنية للنهوض بالملوّنين، ما وراء قصة رودني كينغ: تحقيقات حول سوء سلوك الشرطة في مجتمعات الأقليات (بوسطن: دار نشر جامعة نورث إيسترن، 1995)

وفي هذا السياق، يتمثّل الهدف من التقليل من قيمة الهدف في جعله غير جدير بالثقة، بحيث لا يبدو كلّ ما يحدث له سيء للغاية، ما يجعل بعض الأفراد يعتقدون أنه من المقبول الاعتداء على أحد الإرهابيّين بالضرب أو سجنه، حتّى يصبح من الممكن القول إن المعارضين هم من الإرهابيّين، ولو كان من الأفضل اعتبارهم من المحتجّين أو النشطاء البيئيّين.
ويتمّ اللجوء لاستخدام أسلوب التقليل من قيمة الهدف على نطاق واسع، حتّى عندما يعدّ من غير المرجّح أن يترتّب على ذلك نتائج عكسيّة، بحيث يتمّ وصف الأفراد العاطلين عن العمل بالكسلاء، وإطلاق مصطلح "الفاسقات" على النساء اللواتي يتعرّضن للاغتصاب، الأمر الذي من شأنه أن ينطوي على إلقاء اللّوم على المتضرّر.[13] وكذلك، يُنسب عددٌ من الأوصاف كـ"المتذمّرين" أو "المجرمين" أو "الإرهابيين" للمحتجّين.

إحدى الصور الملتقطة داخل سجن أبو غريب

وتشير عمليّة *إعادة تفسير الأحداث التي وقعت* إلى محاولة وصف الظلم الذي ارتكب وصفًا مختلفًا، وذلك حتّى لا يبدو سيئًا لهذه الدرجة أو يتّخذ صفة الظلم على الإطلاق. وتتعدّد الأساليب التي من الممكن الاضطلاع بها في هذا الشأن، وتتمثّل، على سبيل المثال، في الكذب أو التقليل من وطأة الأعمال المرتكبة أو إلقاء اللّوم على الآخرين أو تأطير الأوضاع القائمة على حدّ سواء.

وبالتالي، يشكّل *الكذب* أسلوبًا مباشرًا لتضليل الأفراد. فقبل الغزو الذي شهدته جمهوريّة العراق عام 2003، تمّ الادّعاء بتوافر أدلّة قويّة تشير إلى امتلاك صدّام حسين أسلحةً نوويّةً وارتباطه بتنظيم القاعدة.
وغالبًا ما يرتبط الكذب والتستّر على الأفعال المرتكبة ارتباطًا وثيقًا في ما بينهما. فعند التعذّر عن ذكر أيّ خبر على الإطلاق، يشكلّ ذلك، وبالتالي، جزءًا من عمليّة التستّر هذه. وفي هذا السياق، انطوت الأكاذيب التي باحت بها الحكومة الأمريكيّة بشأن صدّام حسين على التستّر على بعض المعلومات، بما في ذلك تقارير المخابرات الصادرة في هذا الصدد. وبالتالي، تؤدّي هذه الأكاذيب الدور نفسه الذي تضطلع به عمليّة إعادة تفسير الأحداث التي وقعت، وذلك باعتبار أن العديد من الأفراد كانوا يعارضون هذا الغزو ويطعنون في المبرّرات التي قدّمتها الحكومة في هذا الشأن.
وبالمعنى الدقيق للكلمة، بمجرّد أن يدرك الفرد، وبكلّ وعي، أنه يخدع الآخرين، فيكون، بالتالي، عرضةً للكذب. وفي هذا السياق، تنقسم الأكاذيب إلى نوعين رئيسين، أولهما ينطوي على عدم الكشف عن الحقيقة أو الإفصاح عنها، وذلك عن طريق الإغفال، في الوقت الذي يشير إليه النوع الآخر إلى الإفصاح بالباطل. فعندما يقتنع أحدهم بأن ما يبوح به صحيحًا، فلا يشكّل ذلك، بالتالي، كذبةً، حتّى ولو اعتقد الجميع أنه خطأ. وعندما أشار الرئيس جورج دبليو بوش إلى امتلاك صدّام حسين أسلحةً نوويّةً وارتباطه بتنظيم

[13] يعود تاريخ إلقاء اللّوم على المتضرّرين إلى زمن بعيد؛ ويليام راين، لوم المتضرّرين (نيويورك: فينتاج، 1972)

القاعدة، فهل صدّق، في الواقع، كلّ ما كان يتفوّه به من كلام؟ يُصعب تأكيد ذلك، حتمًا! ومع ذلك، تصنّف الأكاذيب كهذه ضمن عمليّات إعادة تفسير الأحداث التي وقعت.

ويتمثّل مفهوم *التقليل من وطأة الأعمال المرتكبة* في البوح بأقوالٍ لا تعدّ سيئةً إلى الحدّ المتوقّع. فعلى سبيل المثال، بعد ارتكاب مذبحة ديلي التي قُتل فيها المئات، أشار مسؤولون حكوميّون في إندونيسيا إلى مقتل 19 فردًا، وقد ارتفع هذا العدد ليصل إلى 50. أمّا في الواقع، فقد بلغ عدد المتضرّرين الذين لقوا حتفهم 271 فردًا، وذلك وفقًا لتحقيق مستقلّ تمّ إجراؤه في هذا الشأن.
وفي بعض الأحيان، يشكّل مفهوم التقليل من وطأة الأعمال المرتكبة نوعًا من أنواع الكذب الذي من شأنه تشويه الحقيقة بالاتّجاه الذي يفضّله المهاجم، ومع ذلك، فيختلف عن أعمال التستّر على الأفعال المرتكبة. وفي البداية، حاولت الحكومة الإندونيسيّة منع انتشار أيّ من المعلومات المتاحة بشأن مذبحة ديلي والتستّر عليها، بحيث لم تبلّغ عن حالات الوفاة التي وقعت إلّا بعد انتشار ادّعاءات حول المجزرة المرتكبة.
وكذلك، تتمثّل إحدى مساعي التقليل من وطأة الأعمال المرتكبة في وصف أساليب التعذيب المعتمدة، باعتبارها غير سيّئة للغاية، بحيث قد يدّعي المعلّقون أن الحرمان من النوم لا يعدّ ممارسةً مؤذيةً أو ضارّةً بالفعل.

أمّا بالنسبة لمفهوم *إلقاء اللّوم على الآخرين*، فينطوي على إسناد مسؤوليّة ارتكاب عمل ما إلى فرد آخر. وفي هذا السياق، غالبًا ما يحاول المهاجمون إلقاء اللّوم على المتضرّرين. فعندما تعتدي الشرطة بالضرب على المحتجّين، فقد تدّعي، بالتالي، أن هؤلاء الأخرين هم من بادروا في مهاجمتها أولاً، وهو ما يتداخل مع تكتيكات التقليل من قيمة الهدف.
وكذلك، يتمّ إلقاء اللّوم على الآخرين عندما يشتعل فتيل غضب الكثير من الأفراد إزاء ظلم مرتكب، بحيث يحاول بعض من أولئك الذين وقعت على عاتقهم هذه المسؤوليّة إلقاء اللّوم على الأفراد الآخرين المعنيّين. فعلى سبيل المثال، بعد بثّ حادث الضرب الذي تعرّض له رودني كينغ عام 1991 على شاشة التلفزيون الوطنيّ، ألقى قائد شرطة لوس أنجلوس، داريل غيتس، اللّوم على الشرطة التي أجرت الاعتقال، التي، وبدورها، حمّلت غيتس مسؤوليّة هذا العمل.
وعادةً ما يعدّ من السهل على الأطراف البارزة إلقاء اللّوم على الأفراد الأقلّ شأنًا منهم. فبعد انتشار خبر تعذيب المعتقلين في سجن أبو غريب في العراق عام 2004، ألقت الحكومة الأمريكيّة اللّوم على ضبّاط السجن المعنيّين، بحيث لم يتمّ توجيه أيّ اتهامات بحقّ أيّ من كبار المسؤولين الأمريكيّين، وذلك على الرغم من إمكانيّة تورّطهم بذلك، باعتبار أنهم كانوا هم المسؤولين عن إصدار السياسات المعنيّة بارتكاب أعمال التعذيب والتشجيع عليها.

ويشكّل *تأطير الأوضاع القائمة* أسلوبًا محدّدًا معتمدًا للنظر إلى العالم الخارجيّ. فعلى سبيل المثال، تخيّل لو أنّك خارج منزل ما، وتنظر إلى داخله من خلال نافذة صغيرة. وبالتالي، ستعتمد رؤيتك على هذه النافذة التي من خلال إطارها ستتمكّن من النظر إلى ما في داخل المنزل. وكذلك، تخيّل لو أن فردًا آخرًا ينظر إلى داخل المنزل نفسه، لكن من خلال نافذة أخرى، سيشكّل ذلك لديه انطباعًا آخرًا مختلفًا، وذلك لاعتبار أنه ينظر إلى غرفة مختلفة من اتّجاه مختلف من خلال نافذة قد تساهم ألوان زجاجها في تشويه الرؤية المشكّلة عنها.
وبالتالي، تختلف مفاهيم تأطير الأوضاع القائمة مع اختلاف وجهات النظر التي يعتمدها الأفراد إزاء النظر إلى الأمر نفسه، كالمنزل على سبيل المثال، بحيث يدّعي كلّ واحد منهم أن إطاره هو الأنسب على الإطلاق.
ففي مسيرات الاحتجاج، على سبيل المثال، يرى المحتجّون أنفسهم يعبّرون عن وجهات نظرهم ويمارسون حريّات التعبير الممنوحة لهم. أمّا قادة الحكومات، فينظرون إلى المحتجّين باعتبارهم يشكّلون مصدر خطر على النظام الاجتماعيّ والدور الشرعيّ الذي تضطلع به الحكومة كصانع سياسات. وبالتالي، يعتمد المحتجّون إطار المشاركة وحريّة التعبير، في الوقت الذي تستخدم فيه الحكومة إطار النظام الاجتماعيّ والرقابة الاجتماعيّة على حدّ سواء.
وعندما تهاجم الشرطة المحتجّين، ينظر أولئك الأخرون إلى ذلك باعتباره إحدى أشكال الوحشيّة التي تفرضها الشرطة التي، وبدورها، تعتمد وجهة نظر مختلفة تمامًا في هذا الشأن، بحيث تعتقد أنها تمارس عملها المنوّط بها للحدّ من أوجه التهديد التي قد تطال النظام والقانون العام والإجراءات المترتّبة عليها.
وبالتالي، تتمتّع مساعي تأطير الأوضاع القائمة بفعاليّة بارزة، وتساهم في شرح الأسباب الكامنة وراء اعتناق الأفراد مبادئ ومعتقدات وسلوكيّات محدّدة. وفي بعض الأحيان، يفترض النشطاء أن الشرطة أو السياسيّين من الساخرين والفاسدين والأشرار،

وذلك لعدم تمكّنهم من تصديق أن كلّ الأفعال التي يرتكبونها تعدّ ملاءمةً بالفعل. أمّا المشكلة الحقيقيّة، فتكمن في تصديق ذلك فعلاً، وذلك لاعتمادهم منظورًا مختلفًا لرؤية الأمور من حولهم.
وعندما يبدأ السياسيّون بالاعتقاد بأنهم على حقّ، وذلك لتحلّيهم بمعلوماتٍ داخليّة عن الموضوع واقتناعهم بأنهم يسعون لضمان مصالح الدولة الأسمى، فيؤمنون، بالتالي، بتحمّلهم مسؤوليّة حماية المجتمع من أبرز المخاطر التي قد تتعرّض لها. وكذلك، يشكّل المحتجّون خطرًا كبيرًا، لذلك، يحرص السياسيّون على فرض رقابة على المحتجّين وسنّ قوانين قمعيّة واستخدام نفوذ الشرطة وسلطتها السائدة للتحكّم في زمام الأمور. فمن وجهة نظرهم، يشكّل الكذب وسيلةً مشروعةً، وذلك نظرًا لإمكانيّة الوفاء بغرض أكبر من خلاله، وكذلك، تساهم مساعي التقليل من قيمة المحتجّين إحدى الأساليب المعتمدة للبوح بالحقيقة، في الوقت الذي يعدّ فيه الترهيب مبرّرًا باعتبار المحتجّين أعداءً يهدّدون السلم الأهليّ.
وعندما تقوم مساعي تأطير الأوضاع القائمة على معتقدات صادقة، فهي تنطوي، بالتالي، على أسلوب إعادة تفسير الأحداث التي وقعت الوحيد الذي من الممكن اعتباره مشروعًا. وفي هذا السياق، لا بدّ على الأفراد من التمتّع بقدرة تصديق كلّ ما يحلو لهم، حتّى ولو انتهى بهم الأمر إلى تشوّه رؤيتهم للعالم من حولهم. وبالتالي، يعدّ من الشرعيّ التحلّي بمعتقداتٍ والإيمان بها، إلّا أن المشاكل تنشأ في حال محاولة فرض هذه المعتقدات على الآخرين أو الترويج لها من خلال الكذب والترهيب على سبيل المثال.

في عام 1984، تسبّب تسرّب في إحدى المصانع الكيميائيّة القائمة في الهند بقتل الآلاف وإصابة مئات الآلاف من المتضرّرين. وفي هذا السياق، لجأت شركة يونيون كارباید، المالكة للمصنع والقائمة في الولايات المتّحدة، إلى استخدام تقنيّات عديدة في محاولة للحدّ من موجة الغضب الشعبيّ السائدة

وتنطوي *القنوات الرسميّة* على إجراءات التظلّم والاستئناف وفرق الخبراء وأمناء المظالم والتحقيقات الرسميّة والمحاكم، ويمكن اعتبارها أيضًا إجراءات أو عمليّات رسميّة من شأنها ضمان العدالة والعدل والإتيان بالحقيقة.
ففي بعض الحالات، تعمل القنوات الرسميّة على النحو المفترض. فعلى سبيل المثال، عندما يرتكب فردٌ ما جريمةً معيّنةً كالقتل، يتمّ القبض عليه ومحاكمته والحكم عليه، ما يساهم هذا كلّه في تحقيق العدالة.
ومع ذلك، عندما ترتكب إحدى الحكومات أو الشركات أو السلطات العسكريّة البارزة جريمةً ما، فقد لا تؤدّي القنوات الرسميّة دورها بشكلٍ جيّد، بل تسعى لإعطاء انطباع بتطبيق العدالة فحسب. وباعتبار أن العديد من الأفراد يؤمنون بقدرتها على تعميم مبادئ العدالة وأسسها، تتراجع حدّة الغضب، وذلك على الرغم من عدم تحقيق العدالة كاملاً.
وكذلك، يشكّل الدور الذي تضطلع به القنوات الرسميّة من أجل الحدّ من فتيل الغضب إحدى أكثر ميّزات نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة غير البديهيّة منها. وفي هذا السياق، غالبًا ما يطالب النشطاء باتّخاذ إجراءات حكوميّة والتحقيق في حالات الفقر أو العنف المرتكبة في السجون، أو حتّى الشروع في نقل هذه القضايا إلى المحاكم، لا سيّما في حال انطوت على أعمال وحشيّة أو قوّة نوويّة على سبيل المثال.

وفي بعض الأحيان، يعدّ استخدام القنوات الرسميّة خيارًا جيّدًا لا ينفي نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة أهميّته. ومع ذلك، تميل القنوات الرسميّة إلى الحدّ من فتيل الغضب المشكّل إزاء ممارسات الظلم، وذلك نظرًا لاعتقاد الكثير من الأفراد أنه في حال تدخّل بعض الهيئات الرسميّة وتعاملها مع المشكلة القائمة، فلا داعي، إذًا، للقلق أبدًا.

وتعسى القنوات الرسميّة أيضًا لتهدئة فتيل الغضب بأساليب أخرى.

- يعدّ استخدام القنوات الرسميّة عمليّةً بطيئةً. فقد تستغرق التحقيقات والقضايا في المحاكم شهورًا أو حتّى سنوات للاضطلاع بها. وخلال ذلك الوقت، فقد تتقلّص اهتمامات الأفراد وتظهر قضايا أخرى تنافسها على الاهتمام الممنوح لها.
- تتّخذ القنوات الرسميّة طابعًا إجرائيًّا، وتنطوي على كافة أنواع القواعد واللوائح والإجراءات الرسميّة المفصّلة. وبالنسبة للقضايا المطروحة أمام المحاكم، يتمّ اتّباع قواعد الأدلّة في هذا الشأن. وغالبًا ما يشير ذلك إلى الاهتمام، وبشكلٍ أدقّ، بجوانب الإجراءات الفنيّة، وليس تلك ذات الصلة بالظلم المرتكب.
- تعتمد القنوات الرسميّة على الخبراء. لذلك، لا بدّ من توافر الكثير من المعارف والخبرات ذات الصلة من أجل العمل بكلّ فعاليّة، وذلك باستخدام إجراءات التظلّم والتحقيقات الحكوميّة وفرق الخبراء والقضايا القضائيّة. ويشير ذلك، وبالتالي، إلى استبعاد معظم الأفراد أو فقدان اهتمامهم، وإلى محدوديّة مشاركة القنوات الرسميّة العامة، التي تعدّ أسلوبًا جيّدًا لتحويل بوادر الحملات الجماهيريّة حتّى تتخّذ شكل الصراع القائم بين بعض الخبراء.

وعندما يلجأ مرتكبو الانتهاكات من ذوي النفوذ الكبيرة لاستخدام القنوات الرسميّة أو استحداثها، كالتحقيقات في المجازر المرتكبة، فهم، بالتالي، يساهمون في تحويل مسار القضيّة من الساحة العامة لتعتمد منحى قانونيّ أو بيروقراطيّ.

وبالتالي، لا بدّ على القائمين على الحملات من إدراك ذلك.

وفي هذا السياق، يفضّل مرتكبو الانتهاكات من ذوي النفوذ الكبيرة استخدام القنوات الرسميّة التي يتمتّعون بالقدرة على التأثير بها أو السيطرة عليها، كالتحقيقات الداخليّة والمغلقة وليس المستقلّة والعامة منها، أيّ أنهم يفضلون أن تتولّى الشرطة مهمة التحقيق في إحدى القضايا الوحشيّة المرتكبة، بدلاً من فتح تحقيق مستقلّ بها، وأن تقتصر المحاكم على دعوة الصحفيّين لحضور جلساتها فحسب. وكذلك، عادةً ما يحاولون تحديد شروط مرجعيّة محدودة، أيّ تلك ذات الصلة بالمواضيع التي من المفترض أن تتناولها التحقيقات، وذلك من أجل الحدّ من الآثار المحتملة المترتّبة عنها.

وفي هذا السياق، تكمن المشكلة في انعدام تمتّع التحقيقات الداخليّة المغلقة ذات الشروط المرجعيّة المحدودة بمصداقيّة بارزة. لذلك، تلجأ الحكومات، وفي بعض الأحيان، لفتح تحقيقات مفتوحة ومستقلّة وواسعة النطاق وتأمل بالأفضل طبعًا.

وفي بعض الحالات النادرة، تتّخذ التحقيقات شكلاً من أشكال الحملات. ففي منتصف تسعينيّات القرن الماضي في ولاية نيوساوث ويلز الأستراليّة، ضمّت الشرطة هيئةً ملكيّةً من شأنها عقد جلسات استماع عامة أثمرت في استحداث تغطية إخباريّة ضخمة. وفي هذا السياق، تحوّل بعض من عناصر الشرطة الفاسدة إلى مخبرين وتمكّنوا من تجميع بعض الأدلّة على صفقات مبرمة مسجّلة على أشرطة فيديو. ومن خلال بثّها على شاشات التلفزيون، بات من المستحيل على الحكومة تجنّب اتّخاذ تدابير إصلاحيّة جادّة في هذا الشأن.[14]

ومع ذلك، باتت العشرات من الهيئات المخصّصة متاحةً، بحيث يعمل بعض منها سريًّا أو بشكلٍ علنيّ محدود، الأمر الذي من شأنه أن يحول دون إحداث ضغوط ملحوظة من أجل إجراء التغيير المنشود، في حين يسعى البعض الآخر لاستحداث نتائج من شأنها التأكيد على موقف الحكومة، وكذلك، لتقديم توصيات مستنيرة وتدريجيّة تتعذّر الحكومات عن تطبيقها دائمًا.

وعند تحليل الدور الذي تضطلع به القنوات الرسميّة في ما يتعلّق بمساعي الحدّ من فتيل الغضب الشعبيّ السائد، يعدّ من المفيد التفكير في مجموعة واسعة من المنظمات والعمليّات التي من شأنها تأدية دور القنوات الرسميّة. فعلى سبيل المثال، قد تساهم مساعي الحصول على الدعم المطلوب من سياسيّ ما في تأدية هذا الدور نفسه، لا سيّما إن وعد هذا الأخير بتقديم المساعدة الضروريّة وتعذّر عن ذلك أو استغرقت جهوده المبذولة في هذا الشأن وقتًا طويلاً. وكذلك، تعدّ الانتخابات نوعًا من أنواع القنوات الرسميّة المستخدمة أيضًا من شأنها منح طابع شرعيّ لنظام الحكم السائد. ولهذا السبب، يدير العديد من الدكتاتوريّين الاحتياليّين الانتخابات، الذين قد ينجحون في إعطاء انطباع بتطبيق أسس الشرعيّة والعدالة على الأقلّ بين أوساط بعض الأفراد فحسب.[15]

---

[14] رودني تيفن، الفضائح: وسائل الإعلام والسياسات والفساد في أستراليا المعاصرة (سيدني: دار نشر جامعة نيوساوث ويلز، 1999)

[15] بينجامين جينسبيرغ، عواقب الموافقة: الانتخابات ومراقبة المواطنين والإقبال الشعبيّ (ريدينغ، ماساتشوستس: أديسون-ويسلي، 1982)

وينطوي *الترهيب* على أيّ تهديد أو هجوم من شأنه الحدّ من إمكانيّات التعبير عن مشاعر الغضب التي تنتاب الأفراد. وفي هذا السياق، قد يرغب موظف حكوميّ ما بالتحدّث عن حالات الفساد السائدة، إلّا أنه قد يخاف من أن يتمّ الانتقام منه، من خلال فصله عن عمله أو إقالته من منصبه. وكذلك، فقد يودّ أحد الصحفيّين كتابة خبر عن الفساد، إلّا أن المحرّر أو الناشر يخشى من مقاضاته أو محاكمته. وبالمثل، قد يشاء أحد المتضرّرين من أعمال الشرطة الوحشيّة الإبلاغ عن الأفعال التي وقع ضحيتها، إلّا أنه يخاف من التعرّض لمضايقات إضافيّة من جانبها.

و إلى حدّ ما، يختلف الترهيب عن غيره من التكتيكات الأخرى المعتمدة للحدّ من فتيل الغضب، بحيث لا يقلّل بالضرورة من هذه المشاعر، بل يسعى لردع الأفراد عن التصرّف وفقًا لمشاعرهم.

وفي بعض الحالات، يطال الترهيب مساعي التعبير عن مشاعر الغضب ومحاولة ردعها. فعندما تشرع الشرطة في الاعتداء ضربًا على المحتجيّن، قد يتسبّب ذلك في تفاقم فتيل الغضب بين أوساطهم، في الوقت الذي يساهم فيه أيضًا في تخويف البعض الآخر منهم من فضح ما وقع من أحداث.

وقد تعدّ بعض أشكال الترهيب علنيّةً وواضحةً، كالضرب وإطلاق النار، في الوقت الذي يكون فيه البعض الآخر أكثر دهاءً، كنظرات أو صور التهديد أو الإجراءات القانونيّة المحتملة المتّخذة في هذا الشأن.

أمّا بالنسبة لمرتكبي الانتهاكات، فيعود الترهيب بعيبٍ واحد كبير عليهم يتمثّل في إمكانيّة تسبّبه بموجة غضب إضافيّة. فتخيّل لو كان أحد الصحفيّين ينقل خبرًا عن إحدى حالات الاحتجاج السائدة وتعرّض لأيّ تهديد أو اعتداء بالضرب أو اعتقال، فقد يدفع ذلك الصحفيّ لبذل جهود إضافيّة لفضح القضايا السائدة، وذلك على النحو الذي حدث في تيمور الشرقيّة عام 1991 ومع الأسطول البحريّ الذي كان متوجّهًا نحو غزة عام 2010. وقد يحدث ذلك بالضبط عندما تشرع الشرطة في تهديد المحتجّين أو إلحاق الأذى بأولئك من الذين يحظون بالوسائل التكنولوجيّة والمهارات اللازمة للإبلاغ عن هذه الانتهاكات.

وباعتبار أنه يتمّ النظر إلى الترهيب كإحدى التكتيكات الخاطئة على نطاق واسع، فغالبًا ما يتمّ إخفاء ممارساته، وبالتالي التستّر عليها. وفي هذا السياق، تتعذّر الشرطة عن الإعلان عن سعيها لمضايقة أحد الأفراد من الذين اعتدت عليهم ضربًا على سبيل المثال.

أمّا بالنسبة *للمكافآت*، فتعدّ نوعًا من أنواع الفوائد أو الحوافز أو الرشوة التي تجعل الأفراد أقلّ عرضةً للتعبير عن غضبهم. وفي هذا السياق، تمّت مكافأة المحامين الذين عملوا لصالح شركة ماكدونالدز في الدعوى قضائيّة المرفوعة ضدّ هيلين ستيل ودايف موريس لإصدار نشرة تشهيريّة طالت سمعتها.

وقد يكون من الصعب العثور على دليل على ذلك. فلا يُتاح سوى القليل من الأدلّة على شعور شرطة لوس أنجلوس بفتيل الغضب السائد نتيجة الاعتداء بالضرب على رودني كينغ، لذلك، يعدّ من المستحيل إدراك ما إن ساهمت المكافآت المحتمل تقديمها في إحداث أيّ اختلاف في سلوكهم. وبالمثل، يعدّ من الصعب تحديد ما إن كان المحامون الذين يعملون لصالح شركة ماكدونالدز قد ظنّوا أن قضيّة تشهير ماكليبيل تعتبر ضالةً. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أنه غالبًا ما يعمل المحامون على قضايا لا يؤمنون بها، باعتبار أن عادّة ما يشكّل ذلك جزءًا من عملهم فحسب.

وتعدّ عمليّة تقديم المكافآت موازيةً لتكتيكات الترهيب، بحيث يشعر الأفراد، وفي كلتا الحالتين، بالغضب إزاء الأوضاع القائمة، ومع ذلك، يتعذّرون عن التعبير عن ذلك خوفًا من العواقب أو الوعود المترتّبة عليها والمتمثّلة في أعمال الترهيب والمكافآت المقدّمة على التوالي. ولهذا السبب، يتجمع هذان الأسلوبان معًا ضمن فئة واحدة في نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة، ومع ذلك، من الممكن الفصل بينهما.

وباعتبار أنه يعدّ من الصعب إيجاد أدلّة قويّة على المكافآت المقدّمة، فغالبًا يكون من الأسهل عدم ذكرها في تحليل النتائج العكسيّة. ويعتبر الترهيب أكثر وضوحًا، وذلك باعتبار أنه موجهًا نحو هدف الهجوم وحلفاء الهدف المحدّد على حدٍ سواء، في الوقت الذي يحصل فيه حلفاء مرتكبي الانتهاكات على الحوافز اللازمة في هذا الشأن.

ويُتاح عدد قليل من حالات الرشوة التي تطال الأهداف. وفي هذا السياق، كثيرًا ما يواجه المبلّغون عن المخالفات، أيّ الأفراد الذين يتحدّثون باسم المصلحة العامة، أعمالاً انتقاميّةً، كالمضايقات والتوبيخات والنبذ وخفض الرتبة الوظيفيّة والإقالة، من شأنها أن تشكّل مصدر غضب محتمل. وعندما تتمّ دعوة هؤلاء المبلّغين عن المخالفات لحضور جلسة قضائيّة في المحكمة للتطرّق لمعالجة إحدى أوجه الفصل التعسّفي التي طالتهم أو الحصول على تعويض على ذلك، فقد تتمّ رشوتهم عن طريق دفع التعويضات لهم. وتتمثّل إحدى شروط التعويض في توقيع المبلّغين عن المخالفات على اتفاقيّة تنصّ أحكامها على التعذّر عن التعليق، وبشكلٍ عام، على أحكام التسوية المبرمة أو القضيّة الأصليّة. فمن أجل الحصول على هذه الأموال، لا بدّ على المبلّغين عن المخالفات أن يلتزموا الصمت، ما يشكّل نوعًا من أنواع الرشوة المقدّمة لهم في هذا الشأن.

وفي بعض الأحيان، تتمثّل إحدى الفوائد المترتّبة على تأدية دور المتفرّج أو المتعاون الضمنيّ في محاولة الابتعاد عن مجرى الأمور. وغالبًا ما لا يتفوّه الموظفون الذين يشهدون سلوكًا فاسدًا بكلمةٍ، وذلك خوفًا من التداعيات أو الأعمال الانتقاميّة التي قد تترتّب على ذلك، الأمر الذي من شأنه أن يوضّح الارتباط الوثيق القائم أحيانًا بين تكتيكات الترهيب ومنح المكافآت.

دور الأهداف في الحدّ من فتيل الغضب

تعدّ التكتيكات المعتمدة من أجل الحدّ من فتيل الغضب الأكثر استخدامًا من قبل مرتكبي الانتهاكات وحلفائهم. وفي هذا السياق، يحافظ كلّ من المعذّبين والحكومات على هدوئها وسريّة أعمالها. لكن، في بعض الأحيان أيضًا، يساهم المتضرّرون من أعمال التعذيب في ذلك على حدّ سواء، الذين غالبًا ما يعانون صدمات نفسيّة وتسيطر عليهم مشاعر الخوف والخشية. وفي هذا السياق، فقد لا يشعرون بالأمن والأمان للتحدّث، وبكلّ صراحة، عن تجاربهم السابقة. وبالتالي، يساهم صمتهم في التشجيع على التستّر على الأفعال المرتكبة.

ويعدّ من العبث إلقاء اللّوم على المتضرّرين من أعمال التعذيب لمساهمتهم في التستّر على الأفعال المرتكبة. وعند تحليل النتائج العكسيّة، لا بدّ من فهم العمليّات التي من شأنها المساهمة في زيادة فتيل الغضب. وباعتبار تعرّض المتضرّرين من أعمال التعذيب للترهيب الشديد، فقد يتطرّق الآخرون للإبلاغ عن ذلك والتحدّث بالنيابة عنهم على حدّ سواء.

وغالبًا ما يشعر العمّال الذين تعرّضوا للتخويف والتنمّر في أماكن عملهم بالإهانة، ويبدأون، وفي بعض الأحيان، بتصديق ما يعتقده الجميع بأنهم هم المسؤولون عمّا يحدث لهم. ونتيجة لذلك، لا يعدّ العديد من هؤلاء العمّال على أتمّ الاستعداد لاطلاع الآخرين على تجاربهم، ما يساهم في تحفيز مبادرات التستّر على الأفعال المرتكبة، وهو أمر واقعيّ تمامًا. لذلك، لا بدّ من بذل أقصى قدر من العناية عندما يتمّ تشجيع هؤلاء العمّال على الإبلاغ عن ذلك.

غالبًا ما يستخدم الإرهابيّون أساليبًا تزيد من وطأة المعارضة العامة للأنشطة المضطلع بها

ويؤمن الكثير من الأفراد بقوّة القنوات الرسميّة وفعاليّتها في تحقيق العدالة. وغالبًا ما يقدّم هؤلاء العمّال شكاواهم إلى كبار مدرائهم أو رؤسائهم أو يقّدمون شكاوى رسميّة أو يلجأون إلى المحاكم. وفي بعض الأحيان، تعدّ هذه الاستئنافات فعّالةً، في الوقت الذي تشكّل فيه أيضًا، وفي بعض الحالات الأخرى، حلّاً أسوءً من أيّ شيء آخر. وقد تنطوي عمليّات الاستئناف على محاولة تشويه سمعة هؤلاء العمّال من خلال الاستمرار في تعرّضه للتخويف والتنمّر.[16]

وفي ما يتعلّق بنموذج الإتيان بنتائج عكسيّة، فمن المرجّح أن يؤدّي استخدام القنوات الرسميّة إلى الحدّ من فتيل الغضب. وفي حال كان الهدف يتمثّل في حشد الدعم العام، فمن الأفضل، إذًا، تجنّب اللّجوء إلى هذه القنوات أو استخدامها كأداة في الحملات. ومع ذلك، لا يدرك الجميع مدى أهميّة ذلك، وإلّا لجؤوا لاعتمادها على أيّ حال من الأحوال.

وتكمن الفكرة الأساسيّة هنا في مساهمة الأهداف التي تتعرّض للظلم، وفي بعض الأحيان، في الحدّ من فتيل الغضب، وهو أمر لا بدّ من احترامه نظرًا للأسباب الوجيهة التي ينطوي عليها ذلك. ومع ذلك، قد لا تدرك الأهداف أحيانًا أنها تساهم في تحريض مرتكبي الانتهاكات.

دور مرتكبي الانتهاكات في تفاقم فتيل الغضب

وفقًا لنموذج الإتيان بنتائج عكسيّة، قد يستخدم مرتكبو الانتهاكات أساليب مختلفة من شأنها الحدّ من فتيل الغضب المشكّل إزاء أفعالهم. لكن، في بعض الأحيان، قد يتجاهل المهاجمون هذه الأساليب أو حتّى يسعون للاضطلاع بالعكس تمامًا، بما يزيد من تفاقم حدّة الغضب.

وفي أوائل عام 2002، عبّر الرئيس جورج دبليو بوش وغيره من كبار المسؤولين الأمريكيّين عن نواياهم في شنّ غزو على العراق. وقد كان من المرجّح أن تؤدي هذه الحرب العدوانيّة غير الشرعيّة إلى إثارة حركة المعارضة. فبدلاً من محاولة التستّر على خططهم المعتمدة، شرعوا في تعميمها والتعبير عنها على نطاق واسع. وقد ساعد ذلك في التشجيع على اعتماد أعمال مقاومة هائلة، تمثّلت إحدى أكثر اللحظات الدراماتيكيّة فيها في تنظيم أكبر تجمّع احتجاجيّ في التاريخ في 15 شباط/فبراير 2003، شارك فيه ملايين من الأفراد الذين تجمّعوا في شوارع مدن مختلفة من حول العالم.

وقد يتناقض ذلك مع النهج الذي اعتمده الرئيس الأمريكيّ رونالد ريغان في ثمانيّات العقد الماضي، عندما اتّخذ العدوان العسكريّ ضدّ حكومة جمهوريّة نيكاراغوا وشعبها حلّةً جديدةً. وبدلاً من شنّ هجوم مباشر عليها، قدّمت الحكومة الأمريكيّة مساعدات سريّة إلى جماعات الكونترا. وقد أشار هذا التستّر الجزئيّ على هذه الأفعال إلى تفاقم صعوبة توليد تيارات معارضة لهذه الأحداث السائدة. وفي بعض الأحيان، قد يسلّط المهاجمون الضوء على أفعالهم ودوافعهم، وذلك لاعتقادهم بانعدام توافر قاعدة معارضة ملحوظة، أو لتكبّرهم واعتقادهم بأنهم يتمتّعون بالقدرة على القيام بما يحلو لهم، أو لضرورة حشد الدعم العام لتعزيز نهجهم المعتمد. وقد تتّخذ بعض الهجمات المفتوحة شكلاً من أشكال الترهيب الفعّالة.

[16] ديبورا أوزبورن، "المسارات المؤدّية إلى التنمّر"، وقائع مؤتمر آسيا والمحيط الهادئ الرابع حول النزاهة التعليميّة، ولونغونغ، 2009، http://ro.uow.edu.au/apcei/09/papers/18/

وكذلك، تظهر بوادر الإرهاب على حدّ سواء، وتتمثّل، على سبيل المثال، في شنّ هجمات على المدنيين كوسيلة لإرسال رسالة إلى الشعوب،[17] في الوقت الذي يحدّد فيه الإرهابيّون أهدافًا مختلفةً لهم.

تعرّض مركز التجارة العالميّ لهجوم 11 أيلول/سبتمبر 2001

وقد يسعى البعض للانتقام من المظالم السابقة والبعض الآخر لجذب الاهتمام العام لتسليط الضوء على قضيتهم من خلال الاضطلاع بأعمالٍ دراميّة. أمّا الآخرون، فيعدّون أكثر استراتيجيّةً، بحيث يأملون في إحداث ردود أفعال قويّة من جانب أهدافهم الذين يتعرّضون لأعمال قمع متزايدة على سبيل المثال، تدفعهم لحشد دعم عام أكبر لتأييد قضيتهم، وبالتالي، المساهمة في الإتيان بنتائج عكسيّة لصالحهم.

وأيًّا كان المنطق المعتمد في هذا الشأن، فقد تمّ تصميم الأعمال الإرهابيّة بهدف تعزيز موجة الغضب السائدة. ففي 9 أيلول/سبتمبر 2001 على سبيل المثال، وقعت الهجمات المنفّذة على المدنيّين في وضح النهار بكلّ وضوح، ما أسفر عن تسليط الضوء عليها بشكلٍ ملحوظ. وفي هذا السياق، لم يتمتّع المهاجمون سوى بقدراتٍ محدودة على التقليل من قيمة أهدافهم أو استخدام القنوات الرسميّة أو تكتيكات الترهيب لتخويف أعدائهم وخصومهم على حدّ سواء. وقد أسفر عن ذلك نتائج عكسيّة ملحوظة اتّخذت شكل دعم شعبيّ مقدّم إلى الحكومة الأمريكيّة وشعبها، هذا وبالإضافة إلى التخطيط إلى قصف أفغانستان وتوسيع نطاق النظام الأمني الأمريكيّ.

وبالتالي، تتمثّل الدروس المستفادة من ذلك في التعذّر عن افتراض أن مرتكبي الانتهاكات يسعون دائمًا للاضطلاع بكلّ ما هو ممكن للحدّ من فتيل الغضب، بل يقومون أحيانًا بالعكس تمامًا سواءً كان ذلك عن قصد أو غير قصد.

كتابة قصة تأتي بنتائج عكسيّة

والآن، بعد أن نجحت في جمع مواد حول التكتيكات المعتمدة في حالات الظلم، وغيرها من المعطيات ذات الصلة بعمليّات التستّر على الأفعال المرتكبة والتقليل من قيمة الهدف وما إلى ذلك، فقد أصبحت، بالتالي، على أتمّ الاستعداد لكتابة قصتك. فكيف يتعيّن عليك تنظيم هذه المواد المتاحة؟

1. سرد القصة ومن ثمّ تحليلها[18]

لا بدّ عليك أولاً من البدء في اخبار قصة ما، بما في ذلك على سبيل المثال خلفيّتها والعواقب المترتّبة عليها، في الوقت الذي تسعى فيه أيضًا لتقديم كافة التفاصيل ذات الصلة بها. وبعد الانتهاء من ذلك، يتعنيّن عليك الإشارة إلى التكتيكات المستخدمة في هذا الشأن، بما فيها تلك المعنيّة بالتستّر على الأفعال المرتكبة والتقليل من قيمة الهدف وما إلى ذلك.

---

[17] أليكس ب. شميد وجاني دي غراف، العنف كأداة تواصل: إرهاب المتمرّدين ووسائل الإعلام الإخباريّة الغربيّة (لندن: سايج، 1982)؛ بريجيت ل. ناكوس، الإرهاب الخاضع للوساطة: دور الإعلام المركزيّ في الإرهاب ومكافحة الإرهاب (لانهام، ميريلاند: رووومان وليتلفيلد، 2002)؛ جوزيف س. تومان، الإبلاغ عن أعمال الإرهاب: أبعاد الإرهاب البلاغيّة (ثاوزاند أوكس، كاليفورنيا: سايج، 2003)

[18] تشكّل الفصول 2 و3 و4 من كتاب "العدالة المحفّزة" مثالاً على ذلك

ويتيح هذا النهج إمكانيّة سرد القصة بالكامل، من دون الحاجة إلى الإشارة إلى النظريّات المعتمدة والمطبّقة في هذا الشأن. ومع ذلك، فقد لا يتمتّع القرّاء بالقدرة على حفظ القصة بكاملها في رؤوسهم وتذكّر كافة تفاصيلها ذات الصلة عندما ينتقلون إلى تحليل التكتيكات المعتمدة.

2. سرد القصة وتحليلها في الآن نفسه[19]

بمجرّد أن تبدأ في كتابة القصة، لا بدّ عليك من الشروع في تحليل التكتيكات المعتمدة في الآن نفسه. فقد ترغب في البدء بوصف عناصر القصة، التي تنطوي على التستّر على الأفعال المرتكبة والتقليل من قيمة الهدف وما إلى ذلك. وفي بعض الأحيان، قد يعدّ من المفيد تقديم ملخّص موجز عن الأحداث التي وقعت في البداية.

ويساهم ذلك في توفير روابط سرديّة وحيويّة للتكتيكات المعتمدة. ومع ذلك، فقد يكون من الصعب سرد القصة على هذا النحو، بحيث قد يتطلّب منك تحديد التسلسل الزمنيّ أو الرجوع إلى أبرز الأحداث الرئيسة أكثر من مجرّد مرّة واحدة.

3. تحليل القصة ودعمها بأمثلةٍ توضيحيّة[20]

لا بدّ عليك من وصف التكتيكات المعتمدة بشكلٍ منهجيّ. ولكلّ منها، يتعيّن عليك استخدام مجموعة متنوّعة من الأمثلة. فعلى سبيل المثال، عند تحليل التكتيكات المستخدمة للتصدّي لأعمال التعذيب، قد ترغب باستخدام أمثلة على أماكن وأوقات مختلفة كانت واضحةً فيها.

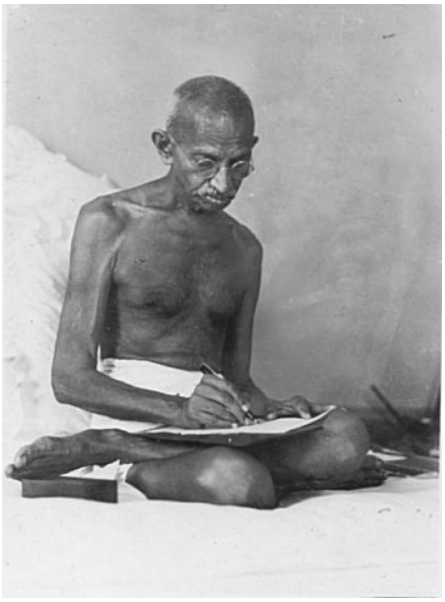

اعتاد موهانداس غاندي على الكتابة كلّ يوم تقريبًا، وتمّ تجميع أعماله في 100 مجلّد

ويسلّط هذا النهج المعتمد الضوء على التحليل، في الوقت الذي يتمّ فيه الاحتفاظ بقوّة الأمثلة المقدّمة، ومع ذلك، يفتقر إلى قوّة السرد، وبالتالي، قد يتمّ انتقاده لاختياره أمثلة تتناسب مع التحليل.

لا يُتاح أيّ أسلوب مثاليّ يتمّ اعتماده من أجل كتابة قصة حول حدث ما من شأنه أن يأتي بنتائج عكسيّة. وكذلك، تتعدّد الأساليب المعتمدة في هذا الشأن وتتخطّى تلك التي سبق ذكرها فحسب. لذلك، تعتمد سبل المضيّ قدمًا في سرد القصة على جمهورك

[19] تشكّل الفصول 5 و8 و9 و10 من كتاب "العدالة المحفّزة" مثالاً على ذلك

[20] تشكّل الفصول 6 و11 و12 من كتاب العدالة المحفّزة" مثالاً على ذلك

المستهدف وموادك المتاحة وغرضك المنشود. وبالتالي، سيختلف التقرير الأكاديميّ المفصّل اختلافًا تامًّا في اللغة المستخدمة والهيكل المعتمد عن غيره من التقارير الموجّهة إلى النشطاء على سبيل المثال.

الكتابة وأساليب الشروع فيها

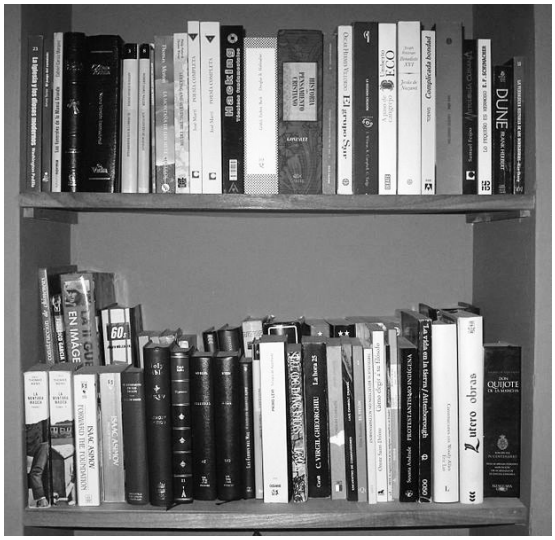

يجمع الباحثون الكثير من المعلومات ويدوّنون ملاحظاتهم عنها، ومن ثمّ يشرعون في كتابة كلّ ما توصّلوا إليه. وقد ينجح ذلك عند العمل على مشاريع صغيرة، إلّا أنه يصبح أقلّ فعاليّةً عندما تتكاثر المواد المتاحة وتتنوّع.

وفي هذا السياق، يتمثّل النهج البديل المعتمد في البدء بكتابة المقالة من البداية استنادًا إلى معلوماتك السابقة المكتسبة في هذا الشأن، وإضافة معطيات جديدة عليه شيئًا فشيء. وقد وجد روبيرت بويس، في دراساته المضطلع بها بالتعاون مع عدد من الكتّاب والأكاديميّين، أن إنتاجيّة أولئك الذين شرعوا في الكتابة شيئًا فشيء قد تخطّت تلك التي يتمتّع بها أولئك الذين تعذّروا عن كتابة أيّ نص قبل بذل جهود ملحوظة من أجل التقيّد بالموعد النهائيّ المحدّد للانتهاء من المهمة.[21]

ومن أجل استخدام نهج بويس، لا بدّ عليك من المساهمة شيئًا فشيء في كتابة المقالة كلّ يوم لمدّة تتراوح بين 5 إلى 20 دقيقة، ومن ثمّ قضاء فترة مماثلة في تعديل ما تمّت صياغته بالفعل. وعندما تبلغ معلومةً لا تدركها، اترك ملاحظة تذكّرك بما يتعيّن عليك البحث عنه.

وتتمثّل الفائدة من ذلك في استمرار عمل عقلك طوال اليوم، ومن دون وعي، من أجل التطرّق لمعالجة القضايا المطروحة ومساعدك في وضعها ضمن إطار منطقيّ. فبدلاً من قراءة كميّات هائلة من المعلومات والمعطيات المتاحة قبل البدء في الكتابة، ستساهم الكتابات اليوميّة التي ستضطلع بها في توفير هذا الإطار.

وعندما تنتهي من صياغة المسودّة الأولى وتنقيحها، فيحين وقت الحصول على التعليقات ذات الصلة. وفي هذا السياق، توصي تارا غراي، التي حوّلت نهج بويس إلى برنامج جاهز للنشر[22]، بإرسال المسودّة الأولى إلى أفراد من غير الخبراء الذين لا يعرفون الكثير عن الموضوع. ولنفترض أنّك تكتب تقريرًا عن التكتيكات التي استخدمتها الحكومة الأمريكيّة من أجل الحدّ من فتيل الغضب الذي نتج عن القصف الذي طال أفغانستان في بداية شهر تشرين الأوّل/أكتوبر 2001. أولاً، يتعيّن عليك عرض مسودتك على أفراد غير مطّلعين على كلّ من حرب أفغانستان ونموذج الإتيان بنتائج عكسيّة، وذلك من أجل تقديم تعليقاتهم وطرح أسئلة من شأنها مساعدتك في توضيح حججك. فعلى سبيل المثال، قد يطرحون عليك أسئلةً تنطوي على الأسلوب الذي يتمّ من خلاله تحديد أعداد الضحايا المدنيّين أو توضيح مفهوم القنوات الرسميّة.

[21] روبيرت بويس، النصائح المقدّمة لأعضاء هيئة التدريس الجدد: نهيل نيموس (بوسطن: ألين وبيكون، 2000)
[22] تارا غراي، النشر والازدهار: مسيرة الباحث الغزير (أكاديميّة التدريس، جامعة ولاية نيو مكسيكو، 2005)

وبعد إجراء التغييرات استنادًا إلى التعليقات الواردة من الأفراد من غير الخبراء، يتعيّن عليك إرسال مقالتك إلى الخبراء المتخصّصين في هذا المجال، لا سيّما في مجال التكتيكات المعنيّة بالإتيان بنتائج عكسيّة، بحيث يتمتّعون بالقدرة على التعليق على مختلف الحقائق والتفسيرات المقدّمة.
وفي هذا السياق، ما الفائدة من إرسال مقالتك إلى الأفراد من غير الخبراء؟ يحظى الخبراء بمعارف واسعة النطاق حول الموضوع المطروح لدرجة أنهم قد لا يلاحظون أنّك ربما قد تعذّرت عن تفسير عدد من المفاهيم الأساسيّة بوضوحٍ أو ترتيب المعطيات بشكلٍ منطقيّ، وذلك لاطلاعهم عليها عن كثب.
ومن المحتمل أن تتكوّن معظم قاعدة قرّائك من أفراد من غير الخبراء، لذلك، لا بدّ من السعي للبقاء على تواصل معهم. أمّا في حال ارتكبت أيّ خطأ، فقد تفقد مصداقيتك، لا سيّما إن انتقد أحدهم تحليلك. لذلك، لا بدّ عليك من الحصول على ملاحظات الخبراء المعنيّين لمساعدك في تعزيز دقّة تقريرك.
وبالتالي، قد تساهم عمليّة الكتابة، التي يتمّ في خلالها طلب الحصول على الملاحظات إزاء المسودّات من الأفراد من الخبراء وغير الخبراء، في إنتاج نصّ فعّال للغاية، وقد تؤدّي مواصلة ممارسة أعمال الكتابة في تحسين مخرجاتها لطالما لا تتوقّف عن السعي لمحاولة تحسينها مرارًا وتكرارًا.

النشر
أين يتعيّن عليك نشر تحليل النتائج العكسيّة؟ يعتمد ذلك على جمهورك المستهدف وغرضك المنشود.
فقد ينطوي جمهورك الأساسيّ على نشطاء أو أعضاء منظمة معيّنة أو أيّ فرد معنيّ آخر. لذلك، يعدّ من المهم التفكير في جمهورك المستهدف وتحديده، وذلك باعتبار أنه يؤثّر على اللغة التي تستخدمها وكميّة المعلومات التي تقدّمها وطول تقريرك وشكله.
لذلك، قد تعدّ المقالات الأكاديميّة مفيدةً لتقديم وثائق مفصّلة وحجج مقنعة، إلّا أن نمط كتابتها نادرًا ما يكون جذّابًا للأفراد من غير المتخصّصين، أو حتّى المتخصّصين منهم على حدّ سواء! ففي حال كنت ترغب في الوصول إلى عدد أكبر من القرّاء، يمكنك، بالتالي، كتابة نصّ أقصر من شأنه سرد قصّة أو تقديم الكثير من الأمثلة بأسلوبٍ يتمّ التعبير عنه بكلّ وضوح. وفي هذا السياق، يُتاح لك عددٌ من الأمثلة الفعّالة المتاحة على المواقع السياسيّة.
وتشكّل المقالات إحدى الخيارات المتاحة. ومع ذلك، تُتاح لك إمكانيّة النظر في إعداد عرض تقديميّ أو برنامج إذاعيّ أو شريط فيديو أو ملصق إعلانيّ، أو حتّى استخدام تنسيقات مختلفة، كتلك التي تنطوي على نقاشات أو يوميّات أو ألغاز.
ويعتمد كلّ ذلك، وبالتالي، على غرضك المنشود، المتمثّل، على سبيل المثال، في إبلاغ الجماهير من أجل مساعدة النشطاء في التفكير بأساليب تجعل أعمالهم أكثر فعاليّةً، أو في تنبيه أفراد الجمهور بشأن قضيّة مهمة، أو في المساهمة في تعزيز الفهم المشكّل إزاء القضيّة المطروحة أو عمليّة الإتيان بنتائج عكسيّة، أو حتّى في تطوير مهارات التحليل أو الكتابة أو النشر أو التفاعل مع الجماهير. فكلّما زاد إنتاجك، كلّما تمكّنت من تطوير مهاراتك ونجحت في رفع مستوى الوعي المشكّل في هذا الشأن.

3. الاستعداد والتحضير

في الوقت الذي تخطّط فيه للقيام بأمرٍ ما، قد تظهر احتماليّة تعرّضك لهجومٍ ما. فما الذي يتعيّن عليك الاضطلاع به؟ ما عليك سوى الاطلاع على نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة الذي من شأنه توفير التوجيه المناسب لك في هذا الشأن.

- خلال عملك في شركة ما، اكتشفت أدلّة تفيد تورّطها في أعمال فساد، وبدأت تفكّر في الإبلاغ عن ذلك.
- بينما تخطّط لتنظيم مسيرة ما، بدأت تشعر بقلقٍ إزاء احتمال التعرّض لأعمال الشرطة الوحشيّة والعنيفة.
- أدّت مجموعتك دورًا قياديًّا في مواجهة أحد أبرز السياسيّين، وبدأت تشعر بالقلق إزاء احتمال التعرّض لأعمالٍ انتقاميّة.

وفي مثل هذه الحالات، لا بدّ عليك من التفكير في المخاطر المحتملة والتخطيط والاستعداد جيّدًا وفقًا لذلك، تجنّبًا لتعرّضك لأيّ هجمات أو سعيًا منك لمحاولة الإتيان بنتائج عكسيّة على المهاجم لو لزم الأمر.

لذلك، يتعيّن عليك البدء في التفكير في ما قد يلجأ خصمك للقيام به، كالهجوم على سبيل المثال، وفي الأساليب المختلفة التي قد يعتمدها من أجل الحدّ من فتيل الغضب إزاء الهجوم المنفّذ، بما في ذلك تلك ذات الصلة بالتستّر على الأفعال المرتكبة والتقليل من قيمة الهدف وإعادة تفسير الأحداث التي وقعت واستخدام القنوات الرسميّة وترهيب الأفراد المتورّطين.

الفساد

خلال عملك في شركة ما، اكتشفت أدلّة تفيد تورّطها في أعمال فساد، وبدأت تفكّر في الإبلاغ عن ذلك.[23]

يشكّل ذلك مثالاً على أعمال فرديّة قد تجعلك عرضةً للهجوم. وتشارك ديناميّات مماثلة في مقاومة أوجه التنمّر والعنصريّة والتمييز الجنسيّ وغيرها من أشكال الظلم أو الإساءة التي يقرّها كبار المسؤولين أو يوافق عليها. لذلك، لا بدّ عليك من النظر إلى كلّ ما قد يضطلع به الخصوم في محاولة منهم للحدّ من فتيل الغضب الذي قد يتسبّبوا به، بدءًا من أعمال التستّر على الأفعال المرتكبة وما إلى ذلك.

التستّر على الأفعال المرتكبة

قد تتنبأ بأن يقوم المهاجم باستخدام بعض الأساليب المحدّدة للتستّر على الأفعال المرتكبة. وبطبيعة الحال، يسعى كلّ متورّط مشارك في أعمال الفساد لمحاولة إبقائها مخفيّةً. فبمجرّد أن تتفوّه بكلمةٍ، سيدركون أنه يجري تسليط الضوء عليهم وعلى أعمالهم، ويشرعون، بالتالي، في اتّخاذ خطوات إضافيّة لمواصلة مساعي تستّرهم هذه. لذلك، لا بدّ عليك من التفكير في ما قد يضطلعون به.

وفي هذا السياق، قد يسعون لإخفاء الأدلّة أو حتّى القضاء عليها. لذلك، يتعيّن عليك محاولة جمع كلّ الأدلّة الممكنة مسبقًا، لأنه قد يعدّ من الخطر اللجوء إلى الشرطة وطلب إجراء تفتيش مفاجئ منها، وذلك تجنّبًا من أن يقوموا بالقضاء على أيّ وثائق مهمة لو اكتشفوا ذلك عن طريق أحد معارفهم في الشرطة على سبيل المثال.

ولنفترض أنك نجحت في تجميع الكثير من الأدلّة. فأين ستقوم بالإحتفاظ بها؟ وهل ستستخدم إحدى الملفات على جهاز الكمبيوتر تحقيقًا لهذا الغرض؟ قد يقرّر المشغّلون الفاسدون سرقة جهازك أو رشوة أحد الأفراد لسرقته، ما يجعل الأمر يبدو وكأنّها عمليّة سطو اعتياديّة. لذلك، لا بدّ عليك من التأكّد من الاحتفاظ بنسخٍ احتياطيّة عن هذه الأدلّة مع عدد من الأصدقاء أو المحامين.

---

[23] س. فريد ألفورد، المبلّغوة عن المخالفات: الحياة المتشتّتة والقوة التنظيميّة (إيثاكا، نيويورك: دار نشر جامعة كورنيل، 2001)؛ مايرون بيريتز غليزر وبينينا ميغدال غليزر، المبلّغوة عن المخالفات: فضح الفساد في الحكومة وقطاعاتها (نيويورك: بايزك بوكس، 1989)؛ جيفري هانت، الإبلاغ عن المخالفات في الخدمات الاجتماعيّة: المساءلة العامة والممارسة المهنيّة (لندن: إدوارد أرنولد، 1998)؛ مارسيا ب. ميسيلي وجانيت ب. نير، الإبلاغ عن المخالفات: الآثار القانونيّة والتنظيميّة المترتّبة على الشركات والموظفين (نيويورك: ليكسينغتون بوكس، 1992)؛ تيرانس د. ميت، الإبلاغ عن المخالفات في أماكن العمل: صعوبة فضح أعمال الاحتيال والإساءة في أماكن العمل (بولدر، كولورادو: وستفيو، 1999)

في عام 2003، تحدّث محلّل الاستخبارات، أندرو ويلكي، عن عيوب القضيّة التي شرعت فيها الحكومة الأستراليّة عند انضمامها إلى الغزو الذي تمّ شنّه على العراق، التي استخدمت تقنيّات مختلفة لتشويه سمعة ويلكي الذي نجح في ردعها بكلّ فعاليّة

التقليل من قيمة الهدف

إن قرّرت الإفصاح عن أعمال الفساد علنًا، وبالتالي، شرعت في تأدية دور المبلّغ عن المخالفات، فقد تتخيّل أنه ستتمّ الإشادة بشجاعتك والتزامك. لكن، فكّر مرّةً أخرى! وفي هذا السياق، يفضّل أولئك المتورّطون في أعمال الفساد أو الذين يشجّعونها الحدّ من فتيل الغضب، فما من أسلوب أفضل من تشويه سمعتك؟

وبالتالي، قد ينشرون شائعات عنك وعن أدائك الضعيف وسلوكك الجنسيّ وأعمالك الاحتياليّة واضطراباتك الشخصيّة المحتملة. وقد تنطوي هذه الشائعات على بعض الحقائق، في الوقت الذي قد يعدّ فيه البعض الآخر ملفقًا تمامًا. وقد يطّلعون أيضًا على ملفك الشخصيّ، بحثًا عن أيّ دليل من الأدلّة للمسّ بسمعتك وإيذائها. فربما قد اشتكى أحدٌ عليك قبل خمس أو عشر سنوات، ما قد يتحوّل إلى خبر أكبر مبالغ فيه. وقد تتعرّض للمضايقة والاستفزاز لدرجة أن تفقد أعصابك وتبدأ بالصراخ على أحدهم للتوقّف، الأمر الذي قد ينعكس سلبيًّا عليك ويتمّ استخدامه ضدّك لتشويه سمعتك. وبالتالي، سيتمّ توجيه كلّ جانب سلبيّ من تقييمات عملك لأيّ فرد يهتم بالاستماع لمثل هذه الأمور.

وقد لا تقع هذه الأحداث في الواقع بتاتًا، إلّا أن احتماليّة ظهورها تعدّ قائمةً دائمًا. لذلك، لا بدّ عليك من الاستعداد جيّدًا لمواجهة ذلك. وقبل أن تنطق ببنت شفّة، يتعيّن عليك جمع كافة الأدلّة المتاحة على حسن أدائك وشخصيّتك اللطيفة، والسعي لحفظ نسخ عن أبرز تقييمات عملك الصادرة لمصلحتك والحصول على تصريحات من رؤسائك وزملائك في العمل. وكذلك، احرص على جمع كافة الوثائق التي من الممكن لك الحصول عليها والتي من شأنها إثبات شخصيتك الحسنة واستعدّ لاستخدامها لمواجهة أيّ من الادّعاءات التي قد تطال سمعتك ومصداقيتك على حدّ سواء.

وبالتالي، يتعيّن عليك الاستعداد لمواجهة إمكانيّة استفزازك للقيام بأمرٍ قد يعدّ غير مناسب. وهذا يعني أنه عندما يتولّى الآخرون إبداء تعليقات سيّئة أو القيام بأمور تزعجك، لا بدّ عليك من محاولة مقاومة رغبتك في الصراخ أو الانفعال أو إبداء تعليقات فظّة على ذلك. وبالطبع، ستعدّ كلّ أفعالك مبرّرةً، إلّا أن ذلك كلّه لن يعتبر فعّالاً أبدًا. لذلك، يتعيّن عليك التصرّف بشكلٍ أفضل، أو حتّى إيجاد أفراد آخرين قد يتحدّثون بالنيابة عنك إن كان ذلك ممكنًا أيضًا، وذلك من أجل تسليط الضوء على شخصيتك البارزة وحسن أخلاقك.

وقد يعدّ من المفضّل أن تبقى بعض الأمور سريّةً وألّا يطّلع الأفراد عليها، كحالة سكر مثلاً. لذلك، لا بدّ عليك من الاستعداد لمواجهة مثل هذه الأمور في حال أصبحت واضحةً للعيان. وفي حال كان ذلك سيتسبّب بأذيتك أو أذية أحد من أحبابك، فيتعيّن عليك، إذًا، التفكير ماليًا قد البتّ في قرار الإبلاغ عن أيّ أحداث. فهل تتاح خيارات أخرى في هذا الصدد أيضًا؟

وفي هذا السياق، تتمثّل إحدى الخيارات المتاحة الممكنة في إيجاد أحد، كزميل في العمل، مستعدّ للتحدّث صراحةً بالنيابة عنك. وكذلك، قد تسعى، على سبيل المثال، لإيجاد وظيفة أخرى أكثر أمنًا وأمانًا يكون فيها مديرك متعاطفًا، قبل البتّ في قرار التحدّث علنًا. وقد يواصل أصحاب عملك السابقون، من ذوي العقل الفاسد، سعيهم لمحاولة تشويه سمعتك، إلّا أنهم لن يتمكّنوا من استفزازك لإظهار سلوكيّات غير حكيمة.

وأخيرًا، قد تقوم أيضًا بتسريب بعض الوثائق، في الوقت الذي تبقى فيه مجهول الهويّة، وذلك من خلال أحد الصحفيّين أو مجموعات العمل المتعاطفة، أو حتّى نشرها على موقع "ويكيليكس" أو غيره من المواقع الإلكترونيّة المتاحة على شبكة الإنترنت إن كانت القضيّة بارزة حقًا وتستحق ذلك.[24] وفي هذه الحالة، ستعدّ مساعي تشويه سمعتك أصعب بكثير، الأمر الذي من شأنه أن يمكّنك من مواصلة جمع كافة المعلومات ذات الصلة الضروريّة. ومع ذلك، لا بدّ عليك من الاستعداد جيّدًا لكافة المساعي المبذولة لتحديد هوية مسرّب هذه المعلومات، ما يشكّل سيناريو مختلف يتطلّب إجراء استعدادات أخرى دقيقة.

إعادة تفسير الأحداث التي وقعت

لا بدّ عليك من الاستعداد لمواجهة الأكاذيب الملفّقة ومساعي التقليل من وطأة الأعمال المرتكبة وإلقاء اللّوم على الآخرين وتأطير الأوضاع القائمة على حدّ سواء.

ولنفترض أنك كنت في اجتماع طلب المدير في خلاله من فرد ما التوقيع على بيانات زائفة. فقد يتخيّل لك أنك من الممكن الإبلاغ عن ذلك على أيّ حال بوجود عدد من الشهود، وذلك قبل أن ينكر المدير ذلك ويحظى بدعم كلّ من الحاضرين هناك الذين باتوا يشاركونه الكذبة نفسها جميعهم! وإن كانت القضيّة مهمةً وتستحقّ كلّ العناء، فقد يعدّ من الممكن لك الاستعداد لمواجهة ذلك من خلال محاولة تسجيل المحادثة بشكلٍ سريّ. لكن، لا بدّ عليك من توخّي الحذر. فقد يؤدّي كشف مخطّطك إلى القضاء على كلّ علاقاتك القائمة معهم! وبالتالي، لا بدّ عليك من محاولة الحصول على وثائق قويّة في حال شعرت بإمكانيّة أن يكذب الآخرون، ما ينطوي على شكل من أشكال التستّر على الأفعال المرتكبة.

وقد يشير المدير إلى انعدام أهميّة فكرة التوقيع على بيانات زائفة، باعتبارها أمر اعتياديّ، الأمر الذي من شأنه أن يشكّل، وبحدّ ذاته، إحدى أشكال التقليل من وطأة الأعمال المرتكبة. ومن أجل مواجهة ذلك، قد يعدّ من الممكن لك أن تسعى لجمع معلومات تظهر أهميّة الحدث الراهن، وتتمثّل، على سبيل المثال، في أمثلة على أحداث مماثلة قد وقعت سابقًا ضمن منظمتك تمّ فيها التعامل مع ذلك باعتباره انتهاكًا أخلاقيًّا ملحوظًا أو ضمن منظمات أخرى تحظى بسمعةٍ جيّدة قد اضطرّت لمواجهة القضيّة نفسها ومعالجتها من أجل الحفاظ على سمعتها.

أمّا في حال تمّ الكشف عن مساعي المدير المبذولة لإخفاء أمر ما، فقد يحاول إلقاء اللّوم على الآخرين، لا سيّما أولئك الذين وقّعوا على بيانات زائفة، وتحميلهم مسؤوليّة ذلك، أو على الإدارة العليا للقبول بهذا النوع من السلوك. وفي هذا السياق، قد تظنّ أنه من غير العادل إلقاء اللّوم على العمّال من الذين قد تعيّن عليهم الاختيار بين كلّ من التوقيع على بيانات زائفة أو خسارة وظائفهم. ويكمن خطر السماح بإلقاء اللّوم على الآخرين في تحمّلهم جميعًا هذه المسؤوليّة، في الوقت الذي تتمّ فيه معاقبة عدد قليل منهم فحسب. لذلك، استعدّ جيّدًا لذلك، من خلال الاطلاع على المعلومات ذات الصلة وفهم كافة الإجراءات المعنيّة التي من شأنها المساهمة في إلقاء اللّوم على الأفراد المتورّطين بالفعل في ذلك.

وأخيرًا، تتمثّل إحدى وجهات النظر القائمة في هذا الشأن في اعتبار هذه المسألة اعتياديّةً لا عيب فيها، وذلك نظرًا لعدم تعريض أيّ فرد لأيّ أذى ولاستغراق الروتين البيروقراطيّ الكثير من الوقت من دون أن يعود بأيّ فائدة محتملة، الأمر الذي من شأنه أن ينطوي على مفهوم الفساد الذي يُنظر إليه على أنه أمر طبيعيّ للغاية وأسلوب يتمّ من خلال اعتبار الأمور، لذلك، لا بدّ عليك من الاستعداد جيّدًا من خلال جمع الأدلّة والحجج اللازمة للتصدّي لوجهات النظر التي من شأنها النظر إلى هذه الأفعال باعتبارها صحيحةً.

---

[24] كاثرين فلين، "ممارسات تسريب المعلومات وسياساته"، البدائل الاجتماعيّة، المجلّد (30)، العدد (1)، 2011، الصفحة 24 – الصفحة 28، http://www.bmartin.cc/pubs/11sa/Flynn.html

محكمة أستراليا العليا

وتتمثّل المشكلة القائمة ذات الصلة بإعادة تفسير الأحداث التي وقعت في المعنى التي تنطوي عليه. فما هي حقيقة كلّ ما حدث؟ وما مدى أهميّة ذلك؟ أيعدّ ذلك سلوكًا اعتياديًّا أم ينطوي على أعمال فساد؟ لذلك، لا بدّ عليك من الاستعداد لمواجهة الآخرين من الذين يحظون بمعلوماتٍ وآراء ووجهات نظر مختلفة تمامًا عنك والذين يسعون لإخفاء وتشويه التصوّرات المتاحة في هذا الشأن لتلبية متطلّباتهم الشخصيّة.

استخدام القنوات الرسميّة

تميل القنوات الرسميّة لتهدئة موجة الغضب الثائرة. فكيف لك أن تستعدّ جيّدًا لمواجهة ذلك؟ فإن قرّرت أن تقدّم شكوى رسميّة أو ترفع دعوى قضائيّة، وذلك على الرغم من كافة العواقب التي قد تترتّب عليها، لا بدّ عليك، إذًا، من الاطلاع، وبشكلٍ مسبق، على الخيارات الواعدة المتاحة لك في هذا الشأن. ففي بعض الأحيان، قد تتعدّد خيارات القنوات الرسميّة المتاحة وتتمثّل، على سبيل المثال، في إجراءات التظلّم التنظيميّة أو أمناء المظالم أو مدقّقي الحسابات العامين أو لجان مكافحة الفساد أو السياسيّين أو أنواع متعدّدة من المحاكم. فقبل الشروع باعتماد الخيار الأكثر وضوحًا وملاءمةً، لا بدّ عليك من اكتشاف ذلك بنفسك. فهل اعتمد أيّ فرد آخر الأسلوب نفسه؟ وكم من الوقت قد استغرق ذلك؟ وما كانت تكلفته؟ وهل اعتبر ناجحًا؟

ويدرك المبلّغون عن المخالفات تفاصيل قضاياهم، وغالبًا ما يؤمنون، وبشكلٍ ملحوظ، في أنهم على حقّ، وفي احتماليّة أن تتّخذ الشكوى أو القضية المسار الذي يرغبون به، الأمر الذي يشكّل أحد الأسباب الكامنة وراء مواصلة سعي المبلّغين عن المخالفات لاختبار القنوات الرسميّة، وذلك على الرغم من نقاط ضعفها الواضحة. ومع ذلك، تكمن المشكلة في انعدام عمل القنوات الرسميّة استنادًا إلى تحديد من على حقّ، بل على أساس القواعد والعمليّات الرسميّة التي من شأنها أن تحول دون نجاح أكثر القضايا قوّةً.

فمن خلال الاطلاع على تجارب القنوات الرسميّة السابقة، فقد يتمّ البدء بتخطيط الوضع القائم. فلو تكلّلت مساعي واحد من بين المتقدّمين بقضاياهم إلى المحكمة والبالغ عددهم خمسين بالنجاح، فقد تعدّ احتمالات نجاحك هي نفسها أيضًا.[25] لذلك، توقّف عن النظر إلى قضيتك باعتبارها مختلفةً، حتّى لا يوصلك ذلك إلى حافة الهاوية.

وما الذي قد يحدث لو تعذّرت عن إيجاد أيّ معلومات عن تجارب سابقة مماثلة؟ في هذه الحالة، ما عليك سوى النظر من حولك، في محاولة منك لإيجاد أحد قد اختبر الأمر نفسه سابقًا؛ فقصة واحدة أو حتّى قصتين سابقتين أفضل بكثيرٍ من لا شيء على الإطلاق!

أمّا في حال قرّرت أن تتعامل مع إحدى القنوات الرسميّة، فاحرص على الاطلاع على ما يمكن أن يضطلع به خصومك. فقد يحاولون إبطاء سير العمليّة، والسعي للحفاظ على سريّة الأمور قدر الإمكان، وإظفاء طابع فنيّ وإجرائيّ عليها، وزيادة تكاليفك المتكبّدة على حدّ سواء، في الوقت الذي تأمل فيه بالاضطلاع بعمليّة سريعة ومركّزة ومفتوحة. فحظًا سعيدًا في ذلك! كلّ الضغوط

---

[25] بالنسبة لبعض المحاكم، يعدّ هذا الرقم قريبًا من العدد الفعليّ. فعلى سبيل المثال، تحظى الولايات المتحدة الأمريكيّة بتجارب طويلة في مجال إصدار التشريعات ذات الصلة بالمبلّغين عن المخالفات. وخلال الفترة الممتدّة بين إجراء التعديلات عليها في عام 1994 وأيلول/سبتمبر 2002، خسر المبلّغون عن المخالفات 74 من أصل 75 قرارًا بشأن الأسس الموضوعيّة في محكمة الاستئناف الاتحاديّة التي تحتكر عمليّات مراجعة القرارات الإداريّة القضائيّة. وفي ما يلي عدد من المراجع ذات الصلة: توم ديفين، "الإبلاغ عن المخالفات في في الولايات المتّحدة: الفجوة القائمة بين الرؤية والدروس المستفادة"، الإبلاغ عن المخالفات حول العالم: القانون والثقافة والممارسات، ريتشارد كالاند وغي دين (كيب تاون: مركز استشارات الديمقراطيّة المفتوحة؛ لندن: القلق العام في أماكن العمل، 2004)، الصفحة 74 – الصفحة 100، الصفحة 83 والصفحة 84

ستتّخذ اتجاهًا معاكسًا! لذلك، لا بدّ عليك من الاستعداد جيّدًا لتحمّل أعباء فترات طويلة من الجهد، وتقييم مواردك الماليّة وعلاقاتك القائمة وأنصارك على حدّ سواء. فهل من الممكن لك الاستمرار على هذه الوتيرة لشهورٍ أو حتّى سنوات عديدة؟ أمّا في حال قرّرت اللجوء إلى المحكمة، فهل أنت على استعداد لمواجهة الطعون واستمرار سريان القضية لسنواتٍ وسنوات عديدة؟
فبدلاً من ذلك، قد تقرّر تجنّب اللجوء للقنوات الرسميّة، وبالتالي، تنظيم حملة مناهضة للقضيّة، الأمر الذي من شأنه أن يتطلّب تخطيط على حدّ سواء، وهو موضوع آخر تمامًا، ينطوي على كتابة قصص عن تجاربك السابقة وحشد الأدلّة الداعمة والاستعداد للتحدّث علنًا وإيجاد الحلفاء وإتاحة المعلومات ذات الصلة الضروريّة والتواصل مع وسائل الإعلام، وما إلى ذلك.[26]

ترهيب الأفراد المتورّطين

عندما تقرّر التحدّث عن حالات الفساد السائدة، لا بدّ عليك من الاستعداد جيّدًا لمواجهة الأعمال الانتقاميّة. فلا تتفاجأ أبدًا أو تفقد توازنك، بل اسعَ للاستعداد جيّدًا واطّلع على أسس التحلّي بالمرونة في وجه الشدائد.[27]
لذلك، لا بدّ عليك من اطلاع عائلتك وأصدقائك المقرّبين على كلّ ما يتعيّن عليهم توقعه، لا سيما في حال لم تتسبّب هذه المعلومات بانزعاجهم إطلاقًا. فبمجرّد أن يستعدّوا جيّدًا لذلك، سيساهمون، بالتالي، في دعمك بشكلٍ أكثر كفاءةً وفعاليّةً.
أمّا في حال انطوت بعض من هذه الأعمال الانتقاميّة على عدد من الآثار الماليّة، كخسارة وظيفتك أو مقاضاتك على سبيل المثال، فيتعيّن عليك اتّخاذ الإجراءات اللازمة مقدّمًا، وذلك للحدّ من الخطر المحتمل تكبّده. وقد يعني ذلك تسديد الديون أو الحدّ من النفقات أو إيجاد وظيفة أخرى أو نقل الأصول إلى أفراد آخرين.
وفي حال تكبّد أيّ مخاطر جسديّة محتملة، كالتعرّض للاعتداء على سبيل المثال، لا بدّ عليك، إذًا، من حماية نفسك. وبالتالي، يعتمد ذلك، وبشكلٍ كبير، على الظروف السائدة. وفي هذا السياق، قد يعدّ من الضروريّ تجنّب زيارة بعض الأماكن أو تفقّد السيارة قبل قيادتها أو مغادرة المدينة أو حتّى إصدار هوية جديدة.
وتتمثّل إحدى أكثر أساليب التعامل مع أعمال الترهيب فعاليّةً في توثيقها وفضحها، وذلك باعتبار أن الكثيرون يؤمنون بسوء هذه الأفعال المرتكبة، وبالتالي، سيسعون لدعمك أكثر فأكثر بمجرّد أن يدركوا أنك تتعرّض للهجوم. لذلك، استعدّ جيّدًا لاستخدام كافة أساليب جمع المعلومات المعتادة، لكن هذه المرّة، قبل شنّ أيّ أعمال انتقاميّة محتملة عليك. وقد ينطوي ذلك على جمع رسائل البريد الإلكترونيّ أو بيانات موقّعة، أو تسجيل محادثات، أو التقاط صور، أو حتّى على إعداد خطط طوارئ في حال تمّ القبض عليك، وذلك حتّى يتمكّن الآخرون من اتّخاذ الإجراءات اللازمة في هذا الشأن بالنيابة عنك.[28]

وقد لا تعدّ كلّ هذه التدابير الاحتياطيّة ضروريّةً، وقد يظنّ البعض أنك مذعور. ومع ذلك، لا يزال الاستعداد لمواجهة ذلك يعدّ أمرًا معقولاً جدًّا، وذلك لمساهمته في جعلك أكثر ثقةً بنفسك وقدرةً على التصرّف والمواجهة، حتّى لو كان من الأكثر شجاعةً الانتظار والتعامل مع المخاطر المحتملة على الفور. لذلك، لا داعي للقلق أبدًا!

26براين مارتن، دليل المبلّغين عن المخالفات: المقاوم الفعّال (تشارلبي، المملكة المتحدّة: جون كاربنتر، 1999)، http://www.bmartin.cc/pubs/99wh.html

[27]سالفاتور ر. مادي وديبورا م. خوشابا، المرونة في أماكن العمل: تحقيق النجاح في وجه شدائد الحياة (نيويورك: أماكوم، 2005)؛ أماندا ريبلي، الأمور غير الوارد تصوّرها: من النُجاة من الكوارث؟ (نيويوك: دار نشر ثري ريفرز، 2009)

[28] زورانا سميلجانيك، "الخطة "ب": استخدام الاحتجاجات الثانويّة لتقويض القمع"، نيوتاكتيكس، http://www.newtactics.org/en/PlanB

فإن كنت مستعدًّا جيّدًا، فمن غير المرجّح أن يقرّر الخصوم مهاجمتك في حال أدركوا أن أعمالهم ستفضح وتأتي، بالتالي، بنتائج عكسيّة عليهم. لذلك، يعدّ من الأفضل دائمًا أن تدع الآخرين يدركون جيّدًا أنك على أتمّ الاستعداد للمواجهة.

وحشيّة الشرطة

بينما تخطّط لتنظيم مسيرة ما، بدأت تشعر بقلقٍ إزاء احتمال التعرّض لأعمال الشرطة الوحشيّة والعنيفة.

يشكّل ذلك مثالاً على احتماليّة شنّ هجوم ما على مسيرة احتجاجيّة عامة على يد الخصوم أو حرّاس الأمن أو البلطجيّين.

التستّر على الأفعال المرتكبة

عندما تستخدم الشرطة القوّة ضدّ المحتجّين، نادرًا ما ترغب أن يرى الشهود ما تقوم بارتكابه من أعمال عنف. فلو بدا أنها ترتكب أيّ أفعال وحشيّة، فسيظهر الأمر بأسوأ حلّته أمام الشهود. وفي الواقع، يعدّ ذلك نوعًا من أنواع العنف الكلاسيكيّة، حيث يعتدي فرد على الآخر ضربًا، في الوقت الذي يتعذّر فيه هذا الأخير عن المقاومة من دون أيّ مبرّر.

لذلك، يعدّ من المتوقّع أن تحاول الشرطة، وحلفاؤها على حدّ سواء، الحدّ من تسليط الضوء على وحشيتها، لا سيّما أمام الجماهير المستقلّة. فكيف تنجح في الاضطلاع بهذا؟

تتمثّل إحدى الأساليب التي قد تعتمدها الشرطة في هذا الشأن في الاعتداء ضربًا على المحتجّين بعيدًا عن الأنظار، حيث لا تُتاح فرصة تسجيل ذلك لأحد إطلاقًا، باعتبار أن الكاميرات وسيلة لمواجهة ذلك. وتدرك الشرطة ذلك جيّدًا، لذلك، تحاول مصادرتها أو حتّى تلفها أيضًا. ومن أجل الاستعداد لذلك، لا بدّ على معظم المحتجّين إحضار كاميراتهم معهم، أو اللجوء لاستخدام أجهزة التسجيل الصوتيّ أيضًا كخيارٍ بديل.

وبالتالي، تتمثّل الخطوة الأولى في محاولة تسجيل الصوت أو شريط فيديو، ومن ثمّ، تعميمه على الجماهير بكلّ مصداقيّة، وذلك من خلال تحميل مقاطع منه على موقع "يوتيوب" الإلكترونيّ حتّى تأخذ الأحداث طابعًا منطقيًّا، واطلاع الأفراد على ذلك.

ولا تنفك تقنيّات تسجيل المعلومات وتوزيعها وتعميمها عن التطوّر باستمرار. وبالتالي، تعدّ تفاصيلها التكنولوجيّة مهمةً، لذلك، لا بدّ من تقييمها في ضوء عناصر تحدّي التستّر الرئيسة والمتمثّلة في ما يلي:

- جمع المعلومات؛
- تعميم المعلومات على الجماهير؛
- إضفاء طابع المصداقيّة على المعلومات.

وقد تتمثّل مساعي إضفاء طابع المصداقيّة على المعلومات في إشراك صحفيّ أو مراقب محترم، وجمع صور عالية الجودة لإعداد سيناريو مقنع، وتعميم المعلومات على وسائل إعلام ذات النفوذ البارزة والمركز المرموق.

تستخدم الحكومات والشركات التي تبيع وتستخدم معدّات التعذيب أساليب مختلفة للحدّ من فتيل العضب الشعبيّ

وفي بعض الأحيان، لا تكشف الصور دائمًا حقيقة كلّ ما وقع من أحداث. فقد تعتمد الشرطة أساليب مختلفة لإيذاء المحتجّين، وذلك من دون الظهور بشكلٍ سيء للغاية، عن طريق استخدام رذاذ الفلفل أو أجهزة الصقع الكهربائيّ على سبيل المثال. ومن أجل فضح هذه الأنواع من الأساليب، لا بدّ عليك من التفكير في عناصر المصداقيّة التي من شأنها دعم جهودك المبذولة في هذا الشأن. فقد يشكّل وجود العديد من المحتجّين الذين يقرّرون سرد تجاربهم أو خبير طبيّ يشهد على آثار الأساليب المستخدمة ضدّ هؤلاء الأخرين، دليل فعّال على ذلك.

وفي بعض الأحيان أيضًا، يعدّ أحد عناصر الشرطة على استعداد تام للتحدّث والإبلاغ عن كلّ ما وقع من أحداث، إلّا أن ذلك قد يعني ربما نهاية مسيرته المهنيّة. وقد تتمثّل إحدى الخيارات الأخرى المتاحة في هذا الشأن في تسريب بعض المعطيات من داخل الشرطة نفسها، كملاحظات حول مخطّطاتها أو تسجيلات الاستجوابات التي تضطلع بها، أو حتّى محاولة دسّ جواسيس بين عناصرها للكشف عن الإساءات التي يتعرّض لها المحتجّون، إلّا أن ذلك قد يؤدّي إلى فرض تدابير إضافيّة من الحيطة والحذر والملاحقة من جانبها في حال شعرت بإمكانيّة تولّي أحد عناصرها مهمة إفشاء بعض المعلومات الخاصة بها.

وتعدّ مناقشة موضوع ملاحقة الشرطة لأحد عناصرها المسؤول عن تسريب بعض المعطيات مسألةً أخرى مختلفة تمامًا عن مساعي التستّر على أفعال الشرطة الوحشيّة المرتكبة وسبل مواجهتها، بحيث تتمحور الفكرة الرئسة هنا حول الأسلوب الذي يتمّ من خلاله الاضطلاع بعمليّة التفكير بالتكتيكات التي لا بدّ عليك من اختيارها واعتمادها في هذا الشأن. لذلك، يتعيّن عليك البدء بالتفكير في الإجراءات التي قد تتخذها الشرطة، والتي قد تنطوي على الاعتداء بالضرب على المحتجّين على سبيل المثال، وافتراض أنها ستحاول إخفاء وحشيّتها عن الجماهير الأوسع نطاقًا، وذلك قبل الشروع في تحديد السبل التي يمكنك من خلالها فضح هذه الوحشيّة والممارسات التي قد تضطلع بها الشرطة لمنعك من إتمام مهمتك. لذلك، لا بدّ عليك من التفكير بطريقةٍ إبداعيّة وخلّاقة، فما من حلّ واحد يعمل بشكلٍ مطلق هنا، لأن الشرطة قد تتعلّم من أفعالك وقد تتعلّم أنت، وبدورك، من أفعالها هي.

التقليل من قيمة الهدف

قد تفلت الشرطة من عواقب الوحشيّة التي ترتكبها بسهولةٍ أكبر لو اعتقد الأفراد أن المحتجّين هم من المجرمين أو الإرهابيّين أو سيّئي السمعة الذين يتصرّفون بغرابةٍ؛ فإلحاق الأذى بهذه الفئات لا يعدّ سيئًا كإيذاء فرد بارز في المجتمع.

لذلك، يعدّ من المتوقع أن تستخدم الشرطة وأولئك الذين يدعمونها أو يعارضون المحتجّين أسلوب التقليل من قيمة الهدف، ويطلقون تسميات عديدة عليهم كـ"الرعاع" أو "المنحطّين" أو "المتظاهرين" أو "الإرهابيّين". وقد يظهر المصوّرون غير المتعاطفين مع هذه القضايا المحتجّين في أسوأ حالاتهم، وذلك من خلال صور أقلّ اعتياديّة في مواقف غير مستحبّة على سبيل المثال، في الوقت الذي يدّعون فيه، بالتالي، أن المحتجّين قد لجؤوا لأعمال العنف، ويسعون لنشر معلومات مضلّلة أحيانًا عن جرائم سابقة قد ارتكبوها أو سلوكيات سيّئة قد اعتمدوها مثلاً من أجل تشويه سمعة هؤلاء الآخرين.

ومن أجل الاستعداد لمواجهة تكتيكات التقليل من قيمة الهدف المعتمدة في هذا الشأن، لا بدّ من النظر في العديد من العوامل ذات الصلة، بما في ذلك:

- المظهر الخارجيّ؛
- المشاركون؛
- السلوك؛
- السمعة؛
- الإلتزامات.

وفي هذا السياق، قد يحكم العديد من المراقبين على المحتجّين من خلال مظهرهم الخارجيّ الذي قد يحدث فرقًا ملحوظًا، هذا وعلى الرغم من انعدام توافر علاقة واضحة قائمة بين ذلك ومصداقيّة قضيتهم التي قد تتزعزع جرّاء ارتداء لباس غير تقليديّ على سبيل المثال. لذلك، لا بدّ عليك من التفكير ماليًّا في الصورة التي ترغب بعكسها؛ أهي صورة تجسّد مواطنين مسؤولين؟ أم أخرى تظهر مظهرًا غير رسميّ من شأنه تعزيز أوجه المشاركة، أو رسميّ يعكس وضعًا أعلى شأنًا؟ وكذلك، قد يقرّر المحتجّون ارتداء اللون نفسه أو تسعى المجموعات المهنيّة المعنيّة، كطاقم التمريض أو الفرق الرياضيّة على سبيل المثال، لارتداء بذلات عملها لإيصال رسالتها المنشودة.

وكذلك، تعدّ مساعي التقليل من قيمة الهدف أصعب المنال عندما يحظى المحتجّون بمكانةٍ مرموقة في المجتمع، لذلك، يعدّ من المفيد التفكير في الأفراد الذين قد ينضمّوا إلى الحركة، بحيث قد يمنح كبار السنّ جوًّا من الهيبة والسلطة، في الوقت الذي قد يضفي فيه

الأفراد البارزون، كالسياسيّين والفنانين وأبرز الشخصيّات الإعلاميّة، روحًا من البهجة. فقد يتمتّع عددٌ من المحتجّين ربما بالمصداقيّة باعتبارهم من الصحفيّين أو المحامين أو الأطباء أو القادة الدينيّين، الذين، وفي حال تعرّضهم لوحشيّة الشرطة، قد يساعدون في دعم المحتجّين، لا سيّما بين أوساط جماهير تثق بهم.
وقد يحدث سلوك المحتجّين فرقًا ملحوظًا في هذا الشأن. فلو كان المحتجّون يهتفون بشعاراتٍ قبيحة ويلوّحون بأيديهم عاليًا، قد يمنح ذلك انطباعًا يشير إلى اعتماد سلوك عدوانيّ وعنيف من طرفهم. أمّا في حال أظهر المحتجّون ملامح تهذيب واقتصرت، بالتالي، مسيرتهم على الهتاف بأناشيد جماعيّة مرحة من شأنها منح انطباع إيجابيّ وصورة متفائلة يصعب التقليل من قيمتها.

وحتّى عندما يتصرّف بعض المحتجّين بأسلوبٍ قد يفقدهم مصداقيّتهم متمثّل، على سبيل المثال، في إلقاء الشتائم أو القيام بحركاتٍ فظّة أو رمي الحجارة أو الاعتداء على الخصوم، فقد يؤدّي ذلك إلى تشويه سمعة المجموعة بأكملها. وغالبًا ما تركّز وسائل الإعلام على أكثر الأعمال عنفًا وفظاعةً، وتختار، بالتالي، تسليط الضوء على بضع ثواني من الصراع ونشرها وتجاهل ساعات من السلوك السلميّ المعتمد. ولتجنّب هذا النوع من التشويه، لا بدّ على المحتجّين من الاستعداد لمقاومة الإغراءات التي قد تطالهم والتي قد تجعلهم يتصرّفون بسبلٍ قد تساهم في تشويه سمعتهم. وفي هذا السياق، تدرك الشرطة أن العنف يشكّل ردّة فعل سيّئة بالنسبة للمحتجّين، وقد تحاول، بالتالي، استفزاز هؤلاء الأخرين من خلال توبيخهم أو معاملتهم معاملة قاسية، على أمل أن يفقد بعض المحتجّين صوابهم ويواجهونها. وعندما يحدث ذلك، يعدّ من السهل تبرير أعمال العنف التي قد تضطلع الشرطة بها والتي تعدّ ردّة فعل على العنف الذي يلجأ المحتجّون إليه لمواجهة هذه الأخيرة.
وقد تبذل بعض قوّات الشرطة جهودًا إضافيّةً لإثارة غضب المحتجّين، وتلجأ، بالتالي، للاستعانة بعملاء محرّضين، كعناصر الشرطة أو أفراد يتظاهرون بتأدية دور المحتجّين، للتصرّف بأسلوبٍ من شأنه تشويه سمعة هؤلاء الأخيرين. وفي بعض الأحيان، قد يؤدّي المحرّضون دورًا رائدًا في الترويج للعنف أو رمي الحجارة أو تنظيم عمليّات شراء مواد لصنع المتفجّرات، ويستخدمون نفوذهم لإقناع الآخرين للجوء إلى استخدام العنف، أو حتّى يقرّرون الانسحاب من المشهد ومراقبة وقائعه من بعيد، في الوقت الذي يعتقد المحتجّون فيه أنهم قد اتّخذوا قرار استخدام العنف نهائيًّا.
وتظهر عمليّة الاستعانة بعملاء محرّضين رغبة الشرطة أحيانًا في أن يظهر المحتجّون عدوانيّةً أكبر، وذلك سعيًا لتشويه صورتهم. فعندما يلجأ المحتجّون لاستخدام العنف، يرى العديد من المراقبين أن هدف المحتجّين الكامن يتمثّل في التسبّب بأضرار وإلحاق الأذيّة، بحيث ينظر المراقبون إلى الأساليب المستخدمة في هذا الشأن ويفترضوا أن الغرض الكامن منها شبيه بها وبالأهداف المستخدمة لأجلها. فلو اهتمّ المحتجّون بالمشاكل البيئيّة أو قضايا حقوق الإنسان، ومع ذلك، سعوا لاستخدام العنف، فستضيع رسالتهم وتتشتّت بسبب الصورة والسمعة التي تمّ استحداثها عنهم. ويُطلق على هذه النظريّة الكامنة وراء ذلك اسم "نظريّة الاستدلال المراسل"، حيث يستنتج المراقبون الأهداف المنشودة من خلال محاولة تحديد النتائج المترتّبة على الإجراءات المتّخذة،[29] الأمر الذي من شأنه أن يشكّل حجّةً مقنعةً للتصرّف وفقًا لأساليب متوافقة مع الأهداف المطلوب تحقيقها.

[29] ماكس أبرهامز، "ما سبب فشل الإرهاب؟"، إنترناشونال سيكيوريتي، المجلّد (31)، العدد (2)، خريف 2006، الصفحة 42 – الصفحة 78

وإلى حدّ ما، قد تساهم سمعتك في حمايتك من مساعي التقليل من قيمة الهدف. ففي حال كان يُنظر إلى المجموعة المُنظّمة للاحتجاج باعتبارها مسؤولةً ومرموقةً ومبدئيّة، فمن غير المرجّح تصديق الادّعاءات التي تطالها. وفي الواقع، إن كانت سمعتك جيّدةً، فقد تبوء محاولات التشويه من سمعتك بالفشل وتنطوي، بالتالي، على الإتيان بنتائج عكسيّة على المهاجمين.
وفي هذا السياق، كيف من الممكن بناء سمعة طيّبة؟ لا يعدّ ذلك أمرًا سهلاً أبدًا! فحتّى لو شارك نجوم السينما والحائزون على جائزة النوبل في المسيرة الاحتجاجيّة، فقد تتمّ مهاجمتهم باعتبارهم من المنظّمين المخادعين. وغالبًا ما تنبع السمعة الحسنة من مشاركة أفراد معروفين في المجتمع. أمّا في حال مشاركة مجموعات من الجيران والأطباء العائليّين ومعلّمي المدارس والعمّال المجتمعيّين المحترمين، فمن المرجّح أن يتمّ الوثوق بمعطياتهم المقدّمة في هذا الشأن وتفضيلها على مزاعم النقّاد وادّعاءاتهم. وبالتالي، تشكّل مساعي بناء السمعة تحديًّا مستمرًّا يستحق العناء.
وكذلك، تتمثّل إحدى الأساليب الأخرى المعتمدة للتقليل من قيمة الهدف في الاضطلاع بالتزاماتٍ محدّدة. فإذا أشار المنظّمون إلى ضرورة ألّا يلجأ أحدٌ إلى العنف أو يشارك في ورش عمل معنيّة في هذا الشأن، قد يساهم ذلك في تعزيز مصداقيّة المحتجّين. لذلك، يعدّ الالتزام ضروريًّا لضمان المصداقيّة.

إعادة تفسير الأحداث التي وقعت
في الوقت الذي تشير فيه إلى وحشيّة الشرطة وإصابة المحتجّين بأذى شديد، يدّعي رجال الشرطة والسياسيّون أن هذه الأخيرة لم تشرع في الاعتداء ضربًا على أحد أبدًا، وأن المحتجّين كانوا عنيفين وإصاباتهم طفيفةً جدًّا وشكاواهم غير جدّيّة، وأن بعض من عناصر الشرطة المخادعة كانت هي المسؤولة عن هذه الإصابات المتسبّبة، وأن الشرطة كانت تؤدّي واجباتها فحسب، وأنه لا بدّ من الحفاظ على الأمن والنظام في ظلّ هذه الأحداث الراهنة.
وفي حال اعتدت الشرطة على المحتجّين ضربًا، فلا بدّ عليك من توقّع انتشار هذه الأنواع من الأكاذيب والمبرّرات، في الوقت الذي ستستعى فيه الشرطة للفق الأكاذيب حول كلّ ما وقع من أحداث والتقليل من أهميتها وإلقاء اللّوم على الآخرين، بما في ذلك المحتجّين وعناصر الشرطة المخادعة والسياسيّين وأيّ فرد آخر يعدّ مناسبًا لذلك، والنظر إليها من وجهة نظرها ومنظورها الخاص. وإن تمكّنت من توقّع كلّ ذلك، فيمكنك، بالتالي، التخطيط مسبقًا لمواجهة ذلك بكلّ فعاليّة.

الكذب: في حال اعتمدت الشرطة الكذب كوسيلة لإخفاء كلّ ما وقع من أحداث، فلا بدّ عليك، إذًا، من الحصول على أدلّة جيّدة لكشف هذه الأكاذيب. وبالتالي، يتشابه ذلك مع مساعي التستّر على الأفعال المرتكبة التي تنطوي على إخفاء الحقيقة أو، بعبارةٍ أخرى، الكذب عن طريق الإغفال أو الخداع. أمّا الكذب وقول الباطل، فيحدث دائمًا. لذلك، لا بدّ عليك من الاستعداد جيّدًا لمواجهة ذلك بالشكل نفسه الذي تعتمده لمواجهة مساعي التستّر على الأفعال المرتكبة، وبالتالي، إظهار حقيقة كلّ ما وقع من أحداث.

ودائمًا ما تنظر الشرطة في ضرورة توحيد صفوفها والامتناع، بالتالي، عن الإبلاغ عن أيّ سوء سلوك قد تعتمده عناصر الشرطة الأخرى، في الوقت الذي تلتزم فيه باحترام أحكام "قانون الصمت داخل جهاز الشرطة" والتستّر عليها.[30]

التقليل من وطأة الأعمال المرتكبة: غالبًا ما يعتقد مرتكبو الانتهاكات أن ما ارتكبوه من اعتداءات لا ينطوي على القدر نفسه من الخطورة، وذلك بالمقارنة بما تعرّض له المتضرّرين منها.[31] وقد يشكّل ذلك خدعةً أو كذبةً واعيةً، في الوقت الذي قد ينطوي فيه أيضًا على محدوديّة القدرة على النظر إلى الأمور التي تحدث من وجهة نظر أخرى. فعندما تستخدم الشرطة القوّة لاعتقال فرد ما أو إخضاعه لأوامرها، فهي لا تفكّر كثيرًا بالألم أو الضرر الذي تتسبّب به، في الوقت الذي يدرك ذلك تمامًا كلّ من يتعرّض لهذه الأعمال. وفي هذا السياق، قد تلجأ الشرطة للتقليل من وطأة أعمالها المرتكبة وعواقبها عند شرح تصرّفاتها.
وبالتالي، من الممكن مواجهة ذلك من خلال الاستعداد جيّدًا لجمع الأدلّة المتاحة حول التأثيرات المحتملة بالشكل نفسه المعتمد لمواجهة مساعي التستّر على الأفعال المرتكبة، بما في ذلك أشرطة الكاميرات، وتصريحات الشهود والمتضرّرين، وشهادات الطاقم الطبيّ.

إلقاء اللّوم على الآخرين: في حال تمّ فضح الاعتداءات التي تسبّبت بها الشرطة وبدأت الادّعاءات السلبيّة تطال سمعتها، فقد تبدأ هذه الأخيرة بإلقاء اللّوم على الآخرين، بما في ذلك القادة أو السياسيّين المسؤولين عنها أو حتّى بعض من عناصرها المخادعة.
فكيف من الممكن الاستعداد لمواجهة الحالات التي يتمّ فيها إلقاء اللّوم على الآخرين؟ يعتمد ذلك، وبشكلٍ كبير، على الوضع القائم والهدف الذي تسعى لتحقيقه. ويعدّ من الأسهل لك جمع أدلّة حول الشرطة التي تلجأ لاستخدام القوّة المفرطة، وذلك من خلال التقاط الصور وجمع الأسماء وفضح الأفراد. ومع ذلك، عندما تتصرّف الشرطة بموجب أوامر محدّدة صادرة في هذا الشأن، تقع بعض من هذه المسؤولية على عاتق القادة أو السياسيّين. وبالتالي، عادةً ما يكون من الصعب جمع الأدلّة حول ذلك. وإن تمكّنت من التقرّب من عدد من عناصر الشرطة، قد تنجح في الحصول على وثائق مفيدة حول ذلك، بما في ذلك رسائل البريد الإلكترونيّ، من شأنها توريط مسؤولين أعلى شأنًا في ذلك.
وكلّما نجحت في الاطلاع، وبشكلٍ مسبق، على الطرف المسؤول عن سلوك الشرطة، كلّما أصبحت أكثر استعدادًا لمواجهة تكتيكات إلقاء اللّوم على الآخرين في أعقاب الوحشيّة التي ترتكبها الشرطة. فهل من الممكن أن يُحدث ذلك أيّ فرق مسبق؟ وفي هذا السياق، قد تتمثّل إحدى الاحتمالات ذات الصلة في هذا الشأن في محاولة التواصل مع الشرطة، وحتّى، مع جماهير أخرى أيضًا، بشأن

[30] مايكل و. كوين، السير مع الشيطان: قانون الصمت داخل جهاز الشرطة (مينيابوليس: كوين وشركاه، 2005)
[31] روي ف. بوميستر، الشيطان: في صميم القسوة والعنف البشريّ (نيويورك: فريمان، 1997)

الطرف المسؤول عن سلوك الشرطة التي ستدرك، وبهذه الطريقة، أنك على إدراك في كيفيّة مواجهة تكتيكات إلقاء اللّوم على الآخرين.

تأطير الأوضاع القائمة: ستصف الشرطة كلّ ما وقع من أحداث باستخدام إطارها المفاهيميّ الخاص، أيّ من خلال اعتماد مجموعة من الأفكار التي تستخدمها لفهم العالم من حولها. وعادةً ما تعتقد الشرطة أنها تقدّم خدمةً قيّمةً للمجتمع بموجب ذلك، نظرًا لاعتبارها أن احتجاجًا جامحًا ما قد يشكّل تهديدًا للنظام الاجتماعيّ السائد، وأنه لا بدّ عليها من فرض القانون ومعاقبة المحتجّين على سلوكهم. وتنظر الشرطة إلى اعتدائها بالضرب على المحتجّين كمهامٍ تضطلع بها وفقًا لأوامر وإجراءات قياسيّة صادرة ومن منظور مختلف تمامًا عن وجهة النظر التي يعتمدها هؤلاء في هذا الشأن.
وبالتالي، تشكّل مساعي تأطير الأوضاع القائمة أسلوب تفكير محدّد غالبًا ما يكون صادقًا وغير مخادع، كالكذب.

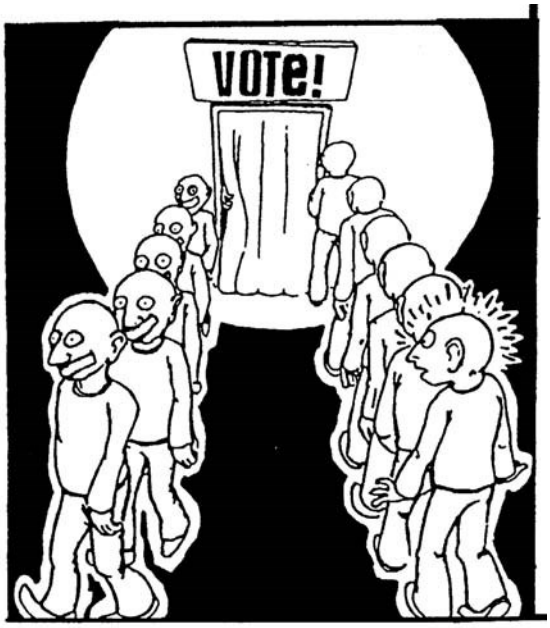

وعند الاستعداد لاحتماليّة التعرّض لوحشيّة الشرطة، لا بدّ عليك من توقّع نشوء صراع بين هذه إطارات، وبالتالي، بين مختلف الأساليب المعتمدة لتفسير كلّ ما يقع من أحداث. لذلك، يعدّ من المهم إدراك أن الشرطة وأنصارها تنظر إلى الأمور من منظور مختلف تمامًا عنك. فإن نجحت في فهم وجهة نظرها، قد تتمكّن، إذًا، من إيجاد سبل لمواجهتها، وذلك من خلال استحداث أساليب مبتكرة لتأطير منظورك الخاص بصورةٍ تروق للجمهور وتقويض إطار الشرطة المعتمد على سبيل المثال. وبالتالي، قد يعدّ استخدام مفاهيم محدّدة، كتلك التي تنطوي على "حرية التعبير" و"الديمقراطيّة" و"حقوق الإنسان"، أو حتّى شعار أو صورة من شأنها تسليط الضوء على إطارك الخاص، مفيدًا.
وغالبًا ما يعتقد المحتجّون أن وجهة نظرهم تعدّ واضحةً بالنسبة للآخرين وأن مسيراتهم الاحتجاجيّة منظّمة لخدمة الجميع. وبالتالي، لا بدّ من إدراك أن منظورك ليس واضحًا كما تعتقد. لذلك، لا بدّ عليك من الاستعداد لمواجهة وجهات النظر المعادية، وتذكير نفسك أن ما من شيء واضح للعيان دائمًا.
فحتّى حوادث القتل الوحشيّة لا تروي نفسها بنفسها، بل تحتاج لتفسير.

استخدام القنوات الرسميّة

غالبًا ما يحظى المحتجّون بمواقف متناقضة إزاء القنوات الرسميّة. وفي حال عملت بشكلٍ جيّد، فلن تدّعي الحاجة للاحتجاج مطلقًا. فعلى سبيل المثال، من أجل الحدّ من استخدام تقنيّة خطرة أو استحداث تطوّرات ضارة بيئيًّا، فلا بدّ من طرح قضيّة عقلانيّة على الهيئات الحكوميّة التي تقع على عاتقها مسؤوليّة ترخيص هذه المساعي، حتّى يتمّ اتّخاذ القرار المناسب في هذا الشأن. ومع ذلك،

كثيرًا ما تعدّ الوكالات والعمليّات المعنيّة في هذا الشأن فاسدةً بأسلوبٍ أو آخر إمّا من خلال التأثير الداخليّ أو أيديولوجيّة سائدة تخدم أسسها أبرز المجموعات.
ونظرًا لفشل القنوات الرسميّة في الكثير من الأحيان، يلجأ الأفراد للاحتجاج لتعميم آرائهم وتسليط الضوء عليها، ما يشكّل نوعًا من أنواع القنوات غير الرسميّة المعتمدة في هذا الشأن.
وقد يتولّى المحتجّون أو الشرطة أو كلاهما معًا مهمة متابعة القنوات الرسميّة التي لا بدّ من تذكّر أنها عادةً ما تستخدم من أجل الحدّ من فتيل الغضب الشعبيّ. وفي هذا السياق، قد تعتقد أحيانًا أن الفوائد المترتّبة عليها تستحقّ كلّ عناء. وقد تضطر أيضًا للانخراط في ذلك، لا سيّما بعد أن يتمّ القبض عليك على سبيل المثال. وفي حال كان هدفك المنشود من ذلك يتمثّل في زيادة موجة الغضب الشعبيّ إزاء قضيّة تتظاهر لأجلها، فلا بدّ عليك، بالتالي، من التفكير من إمكانيّات حشد الدعم العام وتأييد المزيد من الأفراد المعنيّين في هذا الشأن.
ومن أجل الاستعداد جيّدًا لمواجهة ذلك، لا بدّ عليك من التفكير في ردود فعلك على مختلف حالات الطوارئ المحتمل نشوءها.

- في حال استخدمت الشرطة العنف، فهل تقدّم شكوى رسميّة ضدّها وتتواجه معها في المحاكم؟ من المرجّح أن يساهم هذا النوع من الخيارات في الحدّ من فتيل الغضب. وكذلك، يعدّ من المناسب أن تقوم بتطوير خطة من شأنها تعميم المعلومات المتاحة بشأن أعمال العنف المرتكبة على جماهير أوسع نطاقًا.
- في حال استخدمت الشرطة العنف وأسفر ذلك عن الإساءة بسمعتها، فقد تلجأ هذه الأخيرة أو حتّى الحكومة لفتح تحقيق عام في القضيّة، ما يساهم في إضفاء طابع رسميّ عليها تحكمه القواعد والأسس المرعيّة الإجراء. وفي هذا السياق، من الممكن لك تقديم مطالبك ذات الصلة.
- لا بدّ على هيئة مستقلّة غير حكوميّة تولّي مهمة الاضطلاع بالتحقيق.
- لا بدّ على التحقيق من أن يجري علنًا أمام وسائل الإعلام والجمهور.

أمّا في حال كان التحقيق مغلقًا وتديره الشرطة، فمن المرجّح أن تتمّ في خلاله تبرئة الشرطة، بحيث لا يدرك أحدٌ وقائع ما يحدث، وقد يرغب الجمهور في الانتظار للاطّلاع على النتائج المستخلصة.
وفي هذه الأثناء، ينطفئ فتيل الغضب ويتلاشى.
وبالتالي، يُتيح التحقيق المفتوح إمكانيّات إضافيّة لمواصلة الاهتمام بالقضيّة المطروحة، وذلك من خلال تقارير جلسات الاستماع الإعلاميّة. ومع ذلك، لا يتعيّن عليك النظر إلى ذلك باعتباره كافيًا نظرًا لامكانيّة أن يساهم التحقيق في دعم الشرطة أو تقديم توصيات ضعيفة في هذا الشأن. لذلك، لا بدّ عليك من محاولة استخدامه لتوليد الدعم اللازم لقضيتك.
وفي الوقت الذي تسعى فيه للتخطيط لتنظيم مسيرة احتجاجيّة، لا بدّ عليك من الاستعداد جيّدًا لموجهة وحشيّة الشرطة. وفي حال لم تعتمد هذه الأخيرة أساليب العنف، فلن تضطرّ لمواجهة إمكانيّة اللجوء إلى استخدام القنوات الرسميّة هذه بتاتًا.

ترهيب الأفراد المتورّطين أو مكافأتهم
تشكّل احتماليّة شروع الشرطة في الاعتداء ضربًا على المحتجّين نوعًا من أنواع الترهيب في حدّ ذاتها، وقد تخيف الأفراد وتمنعهم، بالتالي، من المشاركة في الاحتجاج، وذلك لما تترتّب عنه من عواقب عديدة تتمثّل، على سبيل المثال، في الاعتقال والتحرّش الفرديّ. وكذلك، قد تختار الشرطة بعض المحتجّين لإيلاء اهتمام خاص بهم ومراقبتهم واعتقالهم على حدّ سواء.

مسيرة احتجاجيّة في صنعاء في اليمن (3 شباط/فبراير 2011)

وبالتالي، تتمثّل أبرز أشكال الحماية المعتمدة من هذه السيناريوهات في الاستعداد لتوثيق الانتهاكات المرتكبة وفضحها ومواجهة مساعي الترهيب المحتملة بالصورة نفسها التي يتمّ اعتمادها للتصدّي لأعمال العنف التي ترتكبها الشرطة خلال المسيرات الاحتجاجيّة. فعلى سبيل المثال، إن قامت الشرطة بتحديد بعض النشطاء لمراقبتهم ومضايقتهم على أثر احتجاج ما، فلا بدّ من فضح ذلك علنًا. وبالتالي، يتعيّن على هؤلاء النشطاء التصرّف بشكلٍ جيّد، وذلك لإمكانيّة أن تؤدّي الأفعال السيئة المرتكبة إلى المسّ بالمصداقيّة أو أن يتمّ استخدامها كذريعة لأعمال الشرطة.

وكذلك، تنطوي إحدى الأساليب الأخرى المعنيّة بالاستعداد لمواجهة مساعي الترهيب على جذب أعداد أكبر من الأفراد للاحتجاج، بحيث يشعرون بأمان أكبر عند اتّخاذ الإجراءات اللازمة عند تجمّعهم في مجموعات. فعادةً ما تتعذّر الشرطة عن الهجوم على حشود كبيرة. فكيف لك أن تجذب المزيد من المشاركين؟ في هذا السياق، لا بدّ من تصميم إجراءات جذّابة لتحقيق هذه الأهداف المنشودة. فإن شكّل الخوف من وحشيّة الشرطة عاملاً رئيسًا في هذا الشأن، فيعدّ من المهم، عندئذٍ، اختيار توقيت ومكان ونهج مناسب يقلّل من هذه المخاطر المحتملة، على سبيل المثال، موقع بارز متاح للعديد من غير المشاركين في الاحتجاج.

ومع مشاركة الكثير من الأفراد في المظاهرة، يعدّ خطر لجوء البعض لاستخدام العنف أكبر، ما يمنح مبرّرًا لعنف الشرطة. وبالتالي، يجدر التفكير في أنواع أخرى من إجراءات التضامن التي من الممكن اتّخاذها والتي من شأنها الحدّ من إمكانيّة تسبّبها بأضرارٍ محتملة، كارتداء ملابس موحّدة أو أداء أغاني أو توجيه التحيّة للغرباء في الشارع.

وقد تساهم المكافآت في الحدّ من مساعي الأفراد المبذولة لمواجهة الظلم المرتكب. وفي هذا السياق، تدرك الشرطة أنها، وفي حال بقيت موالية لقادتهم، بما في ذلك الالتزام بأحكام "قانون الصمت داخل جهاز الشرطة" التي تنصّ على التعذّر عن الحديث عن أيّ من الإساءات التي ترتكبها عناصر أخرى من الشرطة، فستنجح في الاحتفاظ بعملها والاستفادة من الترقيات على حدّ سواء. وكذلك، قد يتحوّل بعض المحتجّين ويصبحوا من حلفاء الشرطة يتلقّون في معظم الأحيان مبالغ محدّدة مقابل جهودهم المبذولة في هذا الشأن.

الأعمال الانتقاميّة

أدّت مجموعتك دورًا قياديًّا في مواجهة أحد أبرز السياسيّين، وبدأت تشعر بالقلق إزاء احتمال التعرّض لأعمالٍ انتقاميّة.

يشكّل ذلك مثالاً على أعمال قد تجعلك عرضةً للهجوم. وقد ينطوي ذلك على أعمال المراقبة، والتسلّل، ونشر الشائعات، ومضايقة الأفراد، ومصادرة المعدّات، ونشر رسائل تهديد، واغتيال أبرز الشخصيات الإعلاميّة، ومراجعة الحسابات الماليّة، وإجراء عمليات اقتحام، واستخدام وسائل ذات صلة أخرى. وبالتالي، يسعى ذلك للحدّ من فعاليّة مجموعتك، من خلال الإضرار بسمعتها

وتخويف أفرادها والتسبّب في خلافات بينهم. وبالتالي، كيف من الممكن الاستعداد لذلك لمنع نشوب الهجوم وجعل المهاجمين يتمنّون لو أنهم لم يبدؤوا بذلك قطّ!

التستّر على الأفعال المرتكبة

يتمّ تنفيذ بعض الهجمات علنًا، وذلك كما هو الحال عندما ينتقد سياسيّ ما جماعتك في بثّ تلفزيونيّ. وفي هذا السياق، يعدّ من السهل التعامل مع هذا الوضع الذي قد يعتبر مفيدًا لمساهمته في تسليط الضوء على مجموعتك. ومع ذلك، قد يتمّ شنّ هجمات أخرى بصورةٍ من شأنها إخفاء المهاجمين وأساليبهم المعتمدة في هذا الشأن. ولمواجهة ذلك، غالبًا ما يعدّ مهمًا توثيق هذه الهجمات وفضحها علنًا.

- إن تلقيت رسائل تهديد، فلا بدّ عليك من إعداد نسخ عنها واطلاع الآخرين على كلّ ما يجري من أحداث في هذا الشأن. وفي حال وردت هذه الرسائل عن طريق البريد الإلكترونيّ، فيعدّ من السهل، إذًا، حفظها. أمّا إذا تلقيت مكالمات هاتفيّة تهديديّة أو مسيئة أو حتّى تهديدات لفظيّة مباشرة، فيتعيّن عليك اعتماد تكنولوجيا محدّدة لتسجيل المكالمات المستقبليّة من النوع نفسه. فعندما تحظى بدليل قويّ على ذلك، يمكنك، بالتالي، إعداد بيان مكتوب أو مسجّل، وتعميمه على أيّ فرد معنيّ، وذلك باستخدام وسائط متعدّدة. ويعدّ ذلك جديرًا بالاهتمام لطالما لا يشعر مؤيّدوك بالخوف من هذه المعلومات، وتتحلّى أنت بالشجاعة وأتمّ الاستعداد للوقوف في وجه هذه التهديدات.
- إن ورد احتمال وقوع هجوم عن طريق أحد الوسطاء، فلا بدّ عليك من محاولة تحديد من يقف وراء ذلك. فعلى سبيل المثال، تخيّل لو أصدر سياسيّ ما أمرًا للشرطة لشنّ هجوم ضدّ مكاتبك. فهل تحظى بأيّ معارف بين أوساط الشرطة أو السياسيّين قد تتيح لك الاطلاع على معطيات كلّ ما حدث؟ فكلّما تعاطفت هذه المعارف مع قضيتك، كلّما أمسى من الصعب على الخصوم التستّر أو محاولة إنكار مسؤولية هذه الأفعال التي تقع على عاتقهم في هذا الشأن.
- قد تشكّل الشائعات حول أمور ماليّة أو جنسيّة أو إيديولوجيّة أو غيرها، وسيلةً قويّةً لتنفيذ الهجوم، وذلك باعتبار أن لا أحد يتحمّل مسؤوليّة الشروع في إطلاقها. فعلى سبيل المثال، قد تتمثّل الشائعات المشكّلة عنك في اعتبارك مرتبطًا بمنظمةٍ إرهابيّة. فما الذي يمكنك القيام به لفضح ذلك؟ إن بدا لك أنك تأخذ هذه الإشاعات على محمل الجدّ، وذلك من خلال الطعن بها منطقيًّا، فقد تمنحها مصداقيّةً أكبر. لذلك، حاول الاستجابة لها من خلال السخرية واستخدام صور تسلّط الضوء على سخافة هذه المزاعم المشكّلة.
- إن توقّعت نشوب أنواع معيّنة من الهجمات، كالاعتداء بالضرب أو إحراق الممتلكات عمدًا، فكّر جيّدًا بالأساليب التي من الممكن فضحها من خلالها، وذلك على النحو الذي يتمّ من خلاله الاستعداد لفضح أعمال الشرطة الوحشيّة، إلّا أن ذلك ينطوي على المزيد من الاحتمالات المتاحة في هذا الشأن.

مثال توضيحيّ
إن سبق وتعرّضت مجموعتك لهجومٍ ما، وتتوقّع المزيد منها، فيتسحقّ التخطيط لمواجهة سلسلة منها، بالتالي، العناء بالتأكيد، الأمر الذي من شأنه تمكينك من الحصول على أدلّة عليها وفضحها علنًا.
ومن أجل الاستعداد لمواجهة أنواع أخرى من الهجمات، فيمكنك تعيين اثنين أو ثلاثة أفراد للتظاهر بتأدية دور المهاجمين وتخيّل سبل قد يتمّ من خلالها مهاجمة مجموعتك. وفي هذه الحالة، لا بدّ على الجميع من أن ينقسموا إلى فرق متعدّدة من أجل العمل على تحديد الاستجابات التي لا بدّ من الاضطلاع بها إزاء كلّ من هذه الهجمات المحتملة.
وإن كانت هذه الهجمات تتكرّر بشكلٍ منتظم، فقد يعدّ من المفيد الاستعانة بالاستجابات المقترحة التي لا بدّ عليك من الاستعداد جيّدًا لتنفيذها، ومن ثمّ تحليلها واستخدامها كتجارب للتحضير بشكلٍ أفضل لمواجهة ذلك فعليًّا.

التقليل من قيمة الهدف

قد يتمّ المسّ بسمعة مجموعتك بشتّى الأساليب المختلفة. فقد يقدّم سياسيّ ما ادّعاءات زائفة وقد تنشر وسائل الإعلام قصص مدمّرة ذات صلة بالإرهاب أو الأعمال الفاسدة أو الممارسات الخطرة أو الجنح الجنسيّة وغيرها من الأمور الأخرى.
لذلك، لا بدّ عليك من الاستعداد لأنواع متعدّدة من الاستجابات المتاحة في هذا الشأن، والمتمثّلة عى سبيل المثال في ما يلي:

1. تجاهل الادّعاءات باعتبارها مجرّد أقوال عبثيّة لن يصدّقها أحدٌ؛
2. الاستجابة بشكلٍ منطقيّ وواقعيّ وتقديم الوثائق والشهادات الداعمة؛

3. تنفيذ هجوم مضاد، وذلك من خلال الإشارة إلى دوافع الخصوم الخبيثة على سبيل المثال؛
4. السخرية من الهجمات.

صورة كرتونيّة من إبداع كوراكس

1. تجاهل الادّعاءات

قد تنظر إلى هذه الادّعاءات باعتبارها مجرّد أقوال عبثيّة لن يصدّقها أحدٌ. فلن تحتاج إلى الكثير من التحضير للاستجابة لذلك. لكن، كيف ستدرك أن هذه الاستجابة هي الأنسب على الإطلاق؟ في هذا السياق، قد يعدّ من المفيد إجراء دراسة استقصائيّة صغيرة تشمل مؤيّديك وغيرهم من الأفراد المحايدين على حدّ سواء، وذلك من أجل الاطّلاع على سمعة مجموعتك ونقاط قوّتها وضعفها. وإن علمت بوجود أيّ من المخاوف بالفعل، كبعض المواقف أو الإجراءات التي اتّخذتها المجموعة على سبيل المثال، فقد يشير ذلك إلى احتماليّة ظهور مكامن ضعف لا بدّ من الاستجابة لها.

2. الاستجابة بشكلٍ منطقيّ وواقعيّ

قد تلجأ لاستخدام بعض الحقائق المتاحة في متناول يدك لمواجهة الهجوم المنفّذ في بيان إعلاميّ أو موقع إلكترونيّ أو رسالة من رسائل البريد الإلكترونيّ أو غيرها من الوسائل الأخرى ذات الصلة. ومن أجل الاستعداد لذلك، لا بدّ على مجموعتك من إعداد استجابة مناسبة لذلك، ومن أن تضمّ أفرادًا مطّلعين على هذه القضايا، يتمتّعون بمهاراتٍ محدّدة في الكتابة والمحادثة من شأنها تمكينهم من إيصال هذه الاستجابات. وكذلك، يعدّ من المفيد بناء قاعدة من المؤيّدين المنتشرين في مواقع رئيسة من شأنهم التحدّث بالنيابة عنك.

فعلى سبيل المثال، إن كانت قاعدة معارفك تضمّ معلّقين إعلاميّين متعاطفين مع قضيتك أو أفراد بارزين من المجتمع، فاحرص على اطّلاعهم جيّدًا على تفاصيل مجموعتك حتّى يتمكّنوا من رفض الادّعاءات الكاذبة وتوفير معطيات حقيقيّة وواقعيّة، وعلى تحديد من منهم على أتمّ الاستعداد للتحدّث بالنيابة عنك. وقد يتعذّر بعض الأفراد عن دعمك، إلّا أنهم يؤمنون بالعدالة ويعدّون على أتمّ الاستعداد لتحدّي الانتقادات القائمة على الأكاذيب والافتراءات، في الوقت الذي تشكّل فيه تصريحاتهم مصدر قوّة وفعاليّة باعتبارهم من المحايدين.

فإن كنت مستعدًّا جيّدًا، فقد يعود الهجوم بالفائدة على مجموعتك، وذلك من خلال حشد دعم مختلف الفئات من الأفراد للدفاع عنك وعن قضيتك على حدّ سواء. ومع ذلك، تذكّر جيّدًا أنه لا بدّ عليهم من الاطّلاع، وعن كثب، على كافة المعطيات المشكّلة إزاء مجموعتك، وذلك من أجل النجاح في مواجهة الادّعاءات الكاذبة.

3. تنفيذ هجوم مضاد

تتمثّل الفكرة الرئيسة من هذه المساعي في محاولة تسليط الضوء على المهاجمين وإظهار دوافعهم الكاذبة وأكاذيبهم وتضارب مصالحهم وسلوكهم الفاسد وما إلى ذلك. ومن أجل الاستعداد جيّدًا لذلك، من الممكن أن تعسى لإعداد "ملف وسخ" يضمّ مجموعةً من المعلومات التي قد تلحق الضرر بخصومك ونشر الادّعاءات المشكّلة إزاءها. فعلى سبيل المثال، قد تضمّ قاعدة معارفك أفرادًا قد تقدّموا بشكاوى ضدّ هؤلاء الخصوم ومستعدّين للإبلاغ عنها ودعمك.
وقد يعدّ هذا الأسلوب نهجًا فعّالاً. ومع ذلك، لا بدّ عليك من التفكير ماليًّا في ما إن كان يشكّل الخيار الأنسب للمضيّ قدمًا، بحيث تتمثّل إحدى العيوب التي ينطوي عليها في النظر إليك باعتبارك أنت المهاجم بدلاً من هدفه. وفي هذا السياق، قد تنظر الجماهير، وبكلّ بساطة، إلى هذه الإساءات، وحتّى التكتيكات المعتمدة غير المقبولة، باعتبارها نتيجةً لأفعال كلّ من الطرفين على حدّ سواء. وإن كان خصومك يحظون بمزيد من الموارد ويعدّون على أتمّ الاستعداد لاستخدامها والاستفادة منها، قد يكون من الأفضل، وبالتالي، الامتناع عن تنفيذ هجوم مضاد. أمّا في حال كان معظم أفراد الجمهور يؤمنون باضطلاع خصومك بأعمال فساد، فلا داعي للقلق كثيرًا إذًا، ولا داعي حتّى لتنفيذ هذه الهجمات المضادة، بحيث قد يتولّون الآخرون القيام بها بالنيابة عنك.

4. السخرية من الهجمات
قد تلجأ لاستخدام الفكاهة والدعابة لنزع فتيل الهجمات المنفّذة، وذلك من خلال النكات أو البيانات الإعلاميّة المخادعة أو الأزياء التنكريّة أو الاحتجاجات المثيرة.
في عام 2000، عانت حركة أوتبور الناشطة القمع على يدّ النظام الصربيّ الذي يقوده سلوبودان ميلوسيفيتش، والذي وصف أعضاء الحركة باعتبارهم من الإرهابيّين والفاشيّين والمدمنين على المخدّرات. وفي هذا السياق، رسم أحد رسّامي الكاريكاتير صورةً ساخرةً للحركة جسّدت صبيًّا صغيرًا يرسم قبضة يدّ ترمز إلى شعار هذه الأخيرة على الرصيف خاضع لتهديدات ميلوسيفيتش وغيره من القادة الصرب الآخرين. وقد استخدمت الحركة هذه الرسوم الكاريكانوريّة على منشورات أظهرت صورة الأبرياء إلى جانب ملصقات النظام.[32]
فمن خلال استخدام الفكاهة والدعابة، تساهم، بالتالي، في توضيح انعدام أهميّة أخذ هذه الادّعاءات المشكّلة إزاءك على محمل الجدّ، باعتبارها أنها مجرّد أقوال سخيفة، ما يجعل الأمر أكثر صعوبةً على المهاجمين أن يستمرّوا في تشكيل هذه الادّعاءات التي ستذكّر الأفراد بسخافتها.
وفي هذا السياق، تتمثّل إحدى أبرز التحديات القائمة في محاولة إيجاد تقنيّات فكاهيّة يتردّد صداها مع المؤيّدين وحتّى الخصوم على حدّ سواء. أمّا في حال تمّ النظر إليها باعتبارها سيئةً للغاية، فقد تشكّل، وبالتالي، هجومًا مضادًا، بحيث قد يُساء تفسير أقوال السخرية أحيانًا. لذلك، لا بدّ عليك من الاستعداد جيّدًا للسخرية من الهجمات والتفكير بأسلوبٍ ذكيّ للردّ عليها، وحتّى استحداث بعض الأفكار التي من الممكن استخدامها في مختلف الحالات القائمة.

إعادة تفسير الأحداث التي وقعت
قد يكذب المهاجمون ويحاولون إخفاء كلّ ما يقومون به من أعمال وأسباب كامنة وراءها، ويدّعون بانعدام أهميّة ما يجري من أحداث، ويسعون لإلقاء اللّوم على الآخرين وإبداء وجهة نظرهم الخاصة في هذا الشأن. ومن أجل الاستعداد جيّدًا لذلك، لا بدّ عليك من التحلّي بمجموعةٍ داعمة من الأفراد إلى جانبك من الذين يدركون أدقّ تفاصيل الحقائق ويتشاركون وجهات النظر نفسها إزاء هذه الأمور معك ويتمتّعون بالقدرة على التواصل مع الجماهير ذات الصلة. لذلك، يتعيّن عليك التحلّي بأدلّة واضحة عن كلّ ما يتفوّه به هؤلاء الأفراد من كلامٍ.
فعلى سبيل المثال، إن تمّ شنّ هجوم على مكاتبك وتمّت مصادرة أجهزة الكمبيوتر الخاصة بك، فقد تدّعي الشرطة أن ذلك ينطوي على إجراء روتينيّ فحسب وأنها لم تتمّ مصادرة أيّ شيء، أو حتّى على محاولة ضبط أيّ مخدّرات، ما يتناسب، وبشكلٍ أفضل، مع مساعي التقليل من قيمة الهدف. وفي هذه الحالة، إن كنت تحظى بدليلٍ مصوّر يظهر عمليّة المصادرة هذه، فقد تتمكّن، وبالتالي، من فضح هذه الكذبة. أمّا في حال كانت قاعدة معارفك تضمّ أفرادًا من المخبرين من الذين قد أشاروا إلى أن هذا الهجوم قد تمّ تنفيذه بموجب أمر صادر عن أحد السياسيّين، فقد يعدّ من الممكن لك أيضًا فضح ذلك علنًا، باعتباره اعتداءً فاحشًا على مبادئ الديمقراطيّة وحريّة التعبير.

[32] ماجكين جول سورينسين، "الفكاهة: استراتيجيّة فعّالة للمقاومة اللاعنفيّة في وجه الظلم"، السلام والتغيير، المجلّد (33)، العدد (2)، نيسان/أبريل 2008، الصفحة 167 – الصفحة 190

وكذلك، تشكّل عمليّة مصادرة أجهزة الكمبيوتر الخاصة بك مسألةً خطيرةً، لذلك، لا بدّ عليك من الاستعداد جيّدًا لمواجهة ذلك، الأمر الذي من شأنه أن ينطوي على التخطيط بشكلٍ مستقلّ عن تحليل النتائج العكسيّة.[33]

استخدام القنوات الرسميّة

عندما تتعرّض مجموعتك للهجوم، فمن المحتمل أن يتمّ انتهاك العديد من القوانين واللوائح المختلفة، وقد تميل، أيضًا، إلى تقديم شكوى إلى أمين مظالم الشرطة أو إحدى لجان الخصوصيّة، أو رفع دعوى في المحكمة بتهمة التشهير، أو طلب إصدار حكم من البرلمان أو اللجوء إلى استخدام عدد من الإجراءات الرسميّة الأخرى التي تعدّ، وفي بعض الأحيان، جديرةً بالاهتمام إلّا أنها تساهم، في الوقت نفسه، في الحدّ من فتيل الغضب.

فعندما تتقدّم بشكوى ما، تعتمد، وبذلك، على النظام لإصلاح المشكلة القائمة، وبالتالي، تحقيق العدالة. أمّا المشكلة الحقيقيّة، فتكمن في بطء الإجراءات وانطوائها على الكثير من الوقت والجهد والمال أيضًا واحتماليّة الاستعانة بعددٍ من الخبراء، كالمحامين، الأمر الذي من شأنه أن يساهم في إمكانيّة انحرافك عن مسار تنظيم الحملات المنشودة.

وإن أراد أعضاءٌ من مجموعتك النظر في مثل هذه الأنواع من الخيارات المتاحة في هذا الشأن، فاطلب منهم تزويدك بمعلوماتٍ، غالبًا ما تكون غير متاحة، عن معدّلات نجاح الشكاوى المقدّمة سابقًا، وكذلك، التواصل مع مجموعات أخرى قد تقدّمت بشكاوى أخرى مماثلة ومحاولة الاطلاع على الوقت والجهد والمال وعدد الأفراد المشاركين في ذلك أيضًا.

وفي بعض الأحيان، تعدّ القنوات الرسميّة فعّالةً وفقًا لشروطها الخاصة، إلّا أنها قد تنطوي على تكلفة فرصة بديلة. وفي هذا السياق، قد تتعذّر عن الاضطلاع بالعديد من الأمور لارتباط معظم الجهود المبذولة لتنفيذها بالقنوات الرسميّة. لذلك، لا بدّ عليك من التفكير في ما يمكنك القيام به لو تمّ بذل الجهد نفسه أو قضاء الوقت ذاته عند تنظيم الحملات. فبدلاً من تقديم مقترح لإحدى الوكالات الحكوميّة، تخيّل لو أنه يتمّ بذل الجهد نفسه لكتابة قصص من شأنها حشد الدعم العام أو تنظيم عمل إجرائيّ ما.

ومن أجل الاستعداد جيّدًا لمواجهة الهجوم المنفّذ على مكتبك، فاسعَ للاستفادة من إمكانيّة الهجوم للحصول على دعم أكبر، ودعوة الأعضاء لقضاء بعض الوقت في المكتب، وتركيب الكاميرات، والاحتفاظ بنسخٍ احتياطيّة عن المعلومات، واطلاع الأفراد على سير العمليّات، وتأكّد من تعريفهم على بعضهم البعض. وبالتالي، فقد تأتي مساعي الاستعداد هذه بفوائد متعدّدة تنطوي على احتماليّة التطوّر والنموّ.

ترهيب الأفراد المتورّطين أو مكافأتهم

في حال تعرّض مجموعتك لهجومٍ ما، فقد يشعر بعض من أعضائها بالخوف، باعتبارهم من المستهدفين القائمين أو المحتملين على حدّ سواء.

ومن أجل الاستعداد جيّدًا لمواجهة ذلك، لا بدّ من بعث روح الطمأنينة في نفوسهم، وذلك من خلال التفكير في سيناريوهات محتملة واستنباط الإجابات والتخطيط وفقًا لذلك. فعندما يدرك الأفراد كلّ ما يتعيّن عليهم القيام به جيّدًا، فسيشعرون بخوفٍ أقلّ.

وقد يشعر بعض الأفراد بالقوّة في وجه الأزمات، ويتحلّون بالثقة والشجاعة والإلهام أيضًا. وقد يكون بعض من قادة الأزمات هؤلاء من كبار السنّ، وبالعض الآخر من الشباب. وفي هذا السياق، يتمثّل التحدّي الذي يواجه مجموعتك في تحديد قادة الأزمات وإعدادهم لاتّخاذ الإجراءات اللازمة والتعذّر عن جعلهم يشعرون بخيبة أمل إن لم يقع أيّ حادث، فلا داعي لإحداث أيّ أزمة داخليّة لمجرّد السعي لبثّ روح من الحركة.

وغالبًا ما يحظى الأعضاء بأسبابٍ وجيهة للخوف من الهجوم، بحيث قد تتعرّض عائلاتهم وظروفهم المعيشيّة للخطر. لذلك، لا بدّ عليك من التفكير في أساليب لحمايتها.

وفي حال شكّل الترهيب جزءًا من الهجوم، فاحرص على توثيق كلّ ما يقع من أحداث. وفي هذا السياق، قد ينظر العديد من الأطراف الخارجيّة إلى التهديدات والاعتداءات والأعمال الانتقاميّة باعتبارها غير عادلة. فمن خلال توثيق هذه الأعمال وفضحها، قد تساهم في تفاقم فتيل الغضب. وإن نجحت في الاستعداد لمواجهة ذلك وتنفيذ خططتك جيّدًا، وحظيت ببعض الحظ، فقد يرغب المهاجمون لو أنهم تعذّروا عن الشروع في هذه الأعمال أصلاً.

الخلاصة

[33] شويك أكشن ولونغونغ، "حماية مجموعتك: القائمة المرجعيّة"، http://www.bmartin.cc/others/SAWchecklist.pdf

توضّح الأمثلة الثلاثة المقدّمة، والمتمثّلة في التحدّث عن أعمال الفساد واحتماليّة التعرّض لأعمال الشرطة الوحشيّة وإمكانيّة الاضطلاع بأعمالٍ انتقاميّة ضدّ مجموعتك، الأسلوب الذي يتمّ من خلاله التخطيط للاستعداد لمواجهة التهديدات القائمة.
وفي هذا السياق، تُتاح أمامك إمكانيّة تطبيق النهج نفسه على مختلف أنواع القضايا الأخرى، كالرقابة الإلكترونيّة والتحرّش الجنسيّ والاعتقال والتعذيب. وبالتالي، لا بدّ عليك من التفكير في الأمور التي سيضطلع بها الآخرون من أجل الحدّ من فتيل الغضب المشكّل إزاء أفعالهم المرتكبة، ومن ثمّ، التفكير في كلّ ما يُتاح لك القيام به حتّى تضمن انعدام فعاليّة ذلك.
وبالتالي، تتّخذ أساليب التستّر على الأفعال المرتكبة والتقليل من قيمة الهدف وإعادة تفسير الأحداث التي وقعت واستخدام القنوات الرسميّة وترهيب الأفراد المتورّطين أو مكافأتهم طابعًا عامًا. فمن خلال الانخراط في معالجة القضايا والمشاركة في الحملات، ستكتسب الكثير من المعلومات المحدّدة الضروريّة للتحلّي بالفعاليّة. لذلك، احرص على الامتناع عن الاعتماد على قائمة قواعد منصوصة، بل فكّر بنفسك جيّدًا وكنّ خلّاقًا ومبدعًا.
وبالتالي، تتطلّب مساعي تحقيق الفعاليّة الاستفادة من تجاربك وتجارب الآخرين السابقة، وكذلك، التحدّث مع الأفراد ومحاولة تحديد التكتيكات التي تكلّلت بالنجاح وتلك التي باءت بالفشل. فما هي الاستعدادات التي أحدثت فرقًا ملحوظًا؟ وما هي تلك التي شكّلت مضيعةً للوقت؟ وكذلك، لا بدّ عليك من السعي لاطلاع الآخرين على مختلف الدروس المستفادة من تجاربك الخاصة على حدّ سواء.

4. الآن وبعد ذلك

تلوح أعمال ظلم وقمع حاليًا في الأفق، بحيث:

- تمّ القبض للتوّ على ناشط واعتقاله؛
- تعرّض المحتجّون للضرب على يدّ الشرطة؛
- تجري مراقبة المواطنين غير قانونيًّا؛
- تقدّم الحكومة ادّعاءات كاذبة عن النشطاء، باعتبارهم من الإرهابيّين؛
- يتعرّض الأفراد للتعذيب؛
- تستهدف الغارات الجويّة المدنيّين.

فما الذي يجب الاضطلاع به في هذا الشأن؟ تعتمد الكثير من المساعي التي لا بدّ من بذلها على السياق المعنيّ، بحيث يتعيّن على النشطاء الاطلاع على الظروف السياسيّة السائدة وتاريخ القضيّة القائم ووضع الحلفاء والخصوم المحتملين وقدرتهم على حشد الدعم العام لاتّخاذ الإجراءات اللازمة، الأمر الذي من شأنه أن يحول دون القدرة على الإجابة على مثل هذا السؤال.
وبالتالي، قد يقدّم نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة بعض الأفكار على ما من الممكن الاضطلاع به في هذا الشأن فحسب، التي لا بدّ من استخدامها جنبًا إلى جنب مع فهمك المشكّل إزاء الوضع القائم.
فلو حرصت على الاستعداد، وبكلّ عناية، لمواجهة كلّ ما يقع من أحداث، فيتعيّن عليك السعي لمتابعة سير تنفيذ خطط جمع الأدلّة وحشد المؤيّدين وما إلى ذلك. ومع ذلك، قد تقع بعض الأحداث بشكلٍ غير متوقّع، الأمر الذي من شأنه أن يحول دون القدرة على الاستعداد لها.
فإن كنت تهتمّ في القضايا التي تنطوي على اعتداءات الشرطة الوحشيّة أو أعمال الحكومة الفاسدة، فقد ترغب، إذًا، في اتّخاذ إجراءات ملاءمة لمواجهة ذلك، أو حتّى التنبؤ بلجوء مرتكبي الانتهاكات لاستخدام أساليب محدّدة للحدّ من فتيل الغضب يمكن التصدّي لها.
وبالتالي، تتمثّل الأساليب الخمسة المعياريّة المعنيّة بتفاقم الغضب في فضح ما ارتكب من أعمال ظلم، والتحقّق من صحة الهدف، وتفسير الأحداث التي وقعت ظلمًا، وحشد الدعم العام وتجنّب اللجوء إلى القنوات الرسميّة ومقاومة الترهيب، التي من الممكن، بالتالي، اختصارها في مساعي الكشف، والتحقّق، وإعادة التأطير والتوجيه، والمقاومة.

الكشف: فضح ما ارتكب من أعمال ظلم
تعدّ مساعي فضح كلّ ما ارتكب من أعمال ظلم، وحتّى معلومات يتردّد صداها بين أوساط الجماهير، أداةً فعّالةً للغاية، من شأنها توليد مشاعر من القلق الشعبيّ ذات القدرة على إحداث التغيير المنشود، وبالتالي، المساهمة في وقف أعمال الظلم هذه.

لذلك، يعدّ من المغري إتاحة أكبر قدر ممكن من المعلومات، وذلك في أقرب وقت ممكن. ومع ذلك، لا بدّ عليك من التوقّف دائمًا للتفكير في الأساليب التي من شأنها المساهمة في تعزيز فعاليّتك، في الوقت الذي لا بدّ من أن يتمّ فيه النظر في العديد من العوامل ذات الصلة.

الموافقة والقبول

لنفترض أنه تمّ القبض على إحدى الناشطات التي تدعى "هيلين" من دون أيّ مبرّر بهدف الترهيب والتخويف. فلا بدّ عليك من الاستعداد لشنّ حملة من شأنها أن تطال هذه الأعمال وتعزز من مبادئ الدعاية. لذلك، يتعيّن عليك، أولاً، التأكّد من موافقة هيلين على هذه الحملة بشكلٍ مسبق قبل المضيّ قدمًا في تنظيمها. لكن، ما الذي قد يحدث لو رفضت ذلك؟ في هذه الحالة، لا بدّ عليك من احترام رأيها وطلبها إلّا في ظروف أخرى استثنائيّة، تتمثّل، على سبيل المثال، في احتماليّة إجبارها على رفض ذلك أو تعرّضها لخطر شديد.

أمّا في حال تعذّرك عن التواصل معها والاطلاع على ما ترغب به، فلا بدّ عليك من الحكم بنفسك على هذه القضيّة بعد التشاور مع أفراد عائلتها وأصدقائها المقرّبين.

فقد تدعم وجهة نظرها الرافضة لشنّ الحملة الدعائيّة أسبابًا وجيهةً، متمثّلةً، على سبيل المثال، في خوفها من المعلومات المهينة التي قد تتداولها الشرطة عنها أو عدم رغبتها في اطلاع عائلتها على مجرى الأمور التي تحدث أو قلقها من تأثير الدعاية على مسيرتها المهنيّة. لذلك، لا بدّ عليك من احترام رأيها، حتّى ولو كنت تعتقد أن مساعي الحملة هذه ستساهم في مساعدتها ودعم قضيّتها على حدّ سواء. فقد تشعر بعدم رغبتها في أن تكون، وفي هذه المناسبة، محطّ أنظار الحملة ومركز اهتمامها.

وإن نجحت في التحدّث معها واطلاعها على استراتيجيّات إدارة موجات الغضب الثائرة، فقد تتمكّن، وبالتالي، من تقديم الحجج المقنعة لها ومساعدتها في اتّخاذ قرارات مستنيرة في هذا الشأن.

في عام 1930 في الهند، قاد موهانداس غاندي حملةً ضدّ الحكم البريطانيّ متحدّيًا قوانين الملح. وفي إحدى المواجهات الرئيسة، اعتدت الشرطة ضربًا على عدد من المقاومين اللاعنفيّين. وعلى الرغم من المحاولات البريطانيّة المبذولة من أجل الحدّ من قتيل الغضب، فقد ساهمت التقارير الصادرة عن هذه الأحداث في إضعاف الدعم المقدّم إلى السلطة البريطانيّة بشدّة

جودة المعلومات

ما الذي قد يحدث لو كانت التقارير الأوليّة التي تحظى بها عن حالات الاعتداء بالضرب والتي سارعت لنشر بيان إعلاميّ بصددها أو اطلاع الآلاف من المؤيّدين عليها عبر موقع "فيسبوك" الإلكترونيّ، غير صحيحة؟ في هذه الحالة، ستفقد مصداقيتك، لا سيّما كمصدر معلومات موثوق. لذلك، قد يعدّ من الأفضل الانتظار حتّى يتمّ التأكيد على صحّة هذه التقارير ودقّتها.

وفي حال كانت أعمالك تعتمد على هذه المعلومات المتاحة، فلا بدّ عليك، إذًا، من التأكّد من صحّتها أولاً. فتخيّل لو أنك تستدعي آلاف المؤيّدين للتظاهر في الشوارع على أساس تقارير ومعلومات زائفة!
وفي بعض الأحيان، قد تعدّ هذه المعلومات صحيحةً، لكن غير فعّالة. وقد تحظى بتقاريرٍ عن التعذيب من مراسلين موثوقين قد شاركوا في إحدى صراعات التحرّر، وتثق بها باعتبار أنك على علم ودراية بمصادرها. لكن، في حال انعدام وجود شهود مستقلّين، فقد لا يتمّ أخذ قصتك على محمل الجدّ. ومع ذلك، قد يتغيّر الوضع القائم بمجرّد تقديم أدلّة فوتوغرافيّة على أعمال التعذيب المرتكبة.
فهل لا بدّ عليك من الانتظار، إذًا، حتّى تتوفّر لديك أدلّة أكثر فعاليّةً؟ إن كنت على ثقة تامّة في هذه الأدلّة، فقد يعدّ من المفيد الإعلان عنها وحتّى لو أتيحت لك معطيات أكثر وضوحًا عنها في وقت لاحق من شأنها دعمها وتعزيز مصداقيتها. أمّا في حال كانت الأدلّة الأوليّة غير واضحة أو مربكة، فقد يعدّ من الأفضل، إذًا، الانتظار ريثما يتمّ الحصول على مجموعة أفضل منها.
ففي أواخر عام 2003، تداول عددٌ من القصص الواردة من الصليب الأحمر وغيره من المنظمات ذات الصلة الأخرى عن تعذيب السجناء في كلّ من أفغانستان والعراق على يدّ حرّاس السجون الأمريكيّين، قد تلقّت تغطية إعلاميّة محدودة انطوت على مجرّد تأثيرات ضئيلة. وفي أوائل عام 2004، باتت صور سجن أبوغريب الدراميّة متاحةً ومتداولةً، ما أسفر عن استحداث واحدةً من أضخم القصص المعنيّة بحقوق الإنسان لذلك العام. وفي وسط التعليقات الواردة في هذا الشأن، أخذت المعلومات المتاحة عن التقارير الأوليّة حيّزًا كبيرًا، تمّ في خلال ذلك الكشف عن مساهمة الصور المعمّمة في إحداث فرق ملحوظ في هذا الشأن.

التغطية الإعلاميّة

في الوقت الذي تقرّر فيه الإفصاح عن بعض المعلومات الدراميّة ذات الصلة بمساعي انتهاك حقوق الإنسان، ترى نفسك أمام تغطية إعلاميّة محدودة نسبيًّا، وذلك تزامنًا مع وقوع زلزال هائل يترأس كافة الأخبار الإعلاميّة والعناوين الرئيسة لأيام أو أسابيع أو حتّى أشهر عديدة.
وباعتبار أنه لا يمكنك التنبؤ بوقوع الكوارث الطبيعيّة، إلّا أنه لا بدّ عليك من التحلّي بالقدرة على تحديد أولويات وسائل الإعلام، كتلك التي تنطوي على الانتخابات على سبيل المثال.
لذلك، لا بدّ عليك من الاطلاع على الأسلوب الذي تتعامل من خلاله وسائل الإعلام الجماهيريّة مع القصص، بحيث يتمّ تخصيص أيام محدّدة من الأسبوع وبعض الأوقات الخاصة من اليوم لإصدار البيانات الإعلاميّة. لذلك، يتعيّن عليك التعرّف جيّدًا على نظام عمل وسائل الإعلام المحليّة والوطنيّة وحتّى الدوليّة منها، وذلك من أجل أن تتمكّن من الترويج لمعلوماتك في أفضل وقت ممكن والانتظار حتّى يصبح الوقت مناسبًا لذلك.
وتعمل وسائل التواصل الاجتماعيّ بأساليب مختلفة تمامًا عن وسائل الإعلام الجماهيريّة. لذلك، لا بدّ عليك من الاطلاع على آليات عملها وأولوياتها حتّى تنجح في تحقيق استجابة جيّدة.

الإفصاح التدريجيّ عن المعلومات

في بعض الأحيان، قد تتاح الكثير من المواد الجيّدة للإفصاح عنها، بحيث قد يعدّ من الأفضل الكشف عنها كلّها بدفعةً واحدة من أجل إحداث أكبر قدر من التأثير الممكن، أو حتّى تدريجيًّا للحفاظ على وتيرة القصة لفترةٍ أطول. وبالتالي، يتمثّل تأثير ذلك في الأسلوب الذي تدير من خلاله بعض الصحف هذه القصص على مدار أيام أو حتّى أسابيع عديدة، وذلك استنادًا إلى وثائق موقع "ويكيليكس".

لذلك، لا بدّ من التفكير هنا في كيفيّة الإفصاح عن هذه المعلومات بشكلٍ فعّال. ففي بعض الأحيان، قد تكون سيطرتك على زمام هذه الأمور محدودةً بالفعل، ومع ذلك، لا بدّ عليك من التفكير في خياراتك المتاحة، بحيث تعدّ مساعي الكشف عن المعطيات ذات الصلة الفوريّة مغريةً للغاية، في الوقت الذي قد يعدّ فيه من المجدي الانتظار حتّى إيجاد وقت أكثر ملاءمةً للحصول على معلومات أفضل أو تلقّي دعم الآخرين اللازم في هذا الشأن.

التحقّق من صحة الهدف

ومع استمرار تواتر أعمال الظلم المرتكبة، لا بدّ عليك من الاستعداد جيّدًا لمواجهة محاولات تشويه سمعتك وسمعة مجموعتك وأيّ طرف تدعمه، وبالتالي، السعي لحماية نفسك على حدّ سواء.

وبالتالي، يعدّ سلوكك المعتمد في هذا الشأن مهمًا جدًّا. ففي حال اتهامك بالفوضى، لا بدّ عليك من التصرّف بكلّ هدوء وارتداء ملابس محترمة، وذلك من أجل أن يساهم سلوكك المحسن والمهذّب في إفساد الادّعاءات المشكّلة إزاءك وجعل مهاجميك يبدون وكأنهم هم من باشروا الهجوم عليك.

وكذلك، تحظى لغتك المستخدمة في هذا الشأن بأهمية بالغة. فإن كنت عرضةً لإحدى أشكال الإساءة اللفظيّة على سبيل المثال، فيعدّ من المغري الإجابة بالأسلوب نفسه مستخدمًا عبارات قاسية. وقد لا يهم الأمر. إلّا أن ذلك يستحقّ التفكير في الأسلوب الذي يتمّ من خلاله المحافظة على صورتك وسمعتك من خلال لسانك. فقد تقرّر التحدّث بشكلٍ منطقيّ وحذر، أو حتّى بأسلوبٍ عاطفيّ أو بحماس أو تعاطف لطالما أنك لا تسعى لتنفيذ هجوم مضاد. وبالتالي، تعتمد أساليب التعبير كثيرًا على التوقعات والأنماط الثقافيّة السائدة، بحيث لا تسيطر قاعدةٌ عامة واحدة على كافة المواقف. وفي هذا السياق، قد يؤدّي أسلوبك اللفظيّ المعتمد دورًا مهمًا في مساعي مواجهة محاولات التقليل من قيمتك.

وقد تعدّ الأدلّة المتاحة على صدقك أو أدائك أو التزامك أو إخلاصك أو أعمالك الصالحة مفيدةً وكلّ ما يعبّر مؤيّدوك عنه من آراء ووجهات نظر حولك ضروريّةً في وجه المساعي المبذولة لتشويه سمعتك.

مثال توضيحيّ

زار الناشط اللاعنفيّ، سكوت باركين، أستراليا عام 2005 قادمًا من تكساس. ومن دون أيّ سابق إنذار، تمّ القبض عليه واحتجازه بانتظار ترحيله. وفي هذا السياق، أدلى المسؤولون الحكوميّون الأستراليّون بتصريحاتٍ تشير إلى تورّط باركين في أعمال احتجاجيّة عنيفة.

وقد نظّم الناشط الأستراليّ اللاعنفيّ، إيان موراي، الذي كان يخطّط لمقابلة باركين في جلسة تدريبيّة كانت لتعقد صباح ذلك اليوم، احتجاجات دعمًا لهذا الأخير. وقد حرص على الإشارة له باعتباره "صديقًا" والتأكيد على التزامه بتطبيق مبادئ السلم واللاعنف.

وفي خلال إحدى المسيرات الاحتجاجيّة المؤيّدة لباركين، ارتدى المحتجّون أقنعةً، وذلك كجزءٍ من مجموعة من التكتيكات الهزليّة التي من شأنها الدفاع عن هذا الأخير. وقد ساعد انتباه موراي الموجّه نحو استخدام لغة مناسبة وسلوك ملائم في مواجة محاولات الحكومة الأستراليّة المبذولة من أجل التقليل من قيمة الهدف. وبفضل استخدام موراي، وغيره من النشطاء الآخرين، أساليب ذكيّة،

أدّت قضيّة اعتقال باركين وترحيله إلى توليد موجات اهتمام ودعم إضافيّة، الأمر الذي ساهم في الإتيان بنتائج عكسيّة على الحكومة الأستراليّة.[34]

معارضة المحتجّين لاعتقال سكوت باركين وترحيله

إعادة التأطير: تفسير الأحداث التي وقعت ظلمًا
لا بدّ عليك من شرح كلّ ما حدث من وجهة نظرك الخاصة. ويعدّ ذلك أمرًا ضروريًّا، وذلك باعتبار أن الخصوم سيكذّبون ويقلّلون من وطأة أعمال التعذيب المرتكبة ويلقون اللّوم على الآخرين ويعيدون تأطير الأوضاع القائمة وفقًا لأسلوبهم الخاص.
وفي هذا السياق، قد تعتقد أن أعمال الظلم باتت واضحةً من خلال الصور المنشورة على شاشات التلفزيون التي ساهمت في نقل حقائق كلّ ما حدث فعلاً. ومع ذلك، فلا تتحدّث الحقائق عن نفسها مطلقًا، بل لا بدّ من تفسيرها وتوضيحها، وذلك باعتبار أنه قد ينظر الآخرون إلى كلّ ما يعدّ واضحًا بالنسبة لك بشكلٍ مختلف تمامًا.
وقد يكذب خصومك أيضًا. لذلك، لا بدّ عليك من مواجهة ذلك من خلال تقديم معلومات دقيقة وفضح الأكاذيب الملفّقة.
وقد يسعى الخصوم أيضًا للإشارة إلى انعدام أهميّة القضيّة على الإطلاق، والتقليل من وطأة العواقب المترتّبة عليها. لذلك، يتعيّن عليك مواصلة تسليط الضوء على عكس ذلك.
وفي حال اتّخذ الخصوم موقفًا دفاعيًّا، فقد يلقون اللّوم على غيرهم، لا سيّما أحد الأفراد الضعفاء أو القادة الفرديّين الذي سيشكّل كبش الفداء، الأمر الذي قد يحتم عليك ضرورة تحديد المسؤول عن كلّ ذلك.
والأهمّ من ذلك، سيلجأ الخصوم لاستخدام لغة محدّدة عند التحدّث عن أبرز الأحداث الراهنة، من شأنها تشجيع الأفراد على التفكير من وجهة نظرهم الخاصة. لذلك، لا بدّ عليك من مواجهة ذلك، من خلال استخدام معطياتك الخاصة وتحديد هدفك المنشود وإمكانيّة أن تشكّل القضيّة المطروحة أساسًا لتعزيز وجهة نظرك.

إعادة التوجيه: حشد الدعم العام وتجنّب اللجوء إلى القنوات الرسميّة
إن كان فتيل الغضب المثار عظيمًا للغاية، فستسعى الحكومة أو غيرها من المجموعات ذات النفوذ الكبير لفتح تحقيق في القضيّة، أو الاستعانة بعددٍ من الخبراء المعنيّين لتقديم تصريحاتهم، أو الطلب من المحتجّين تقديم الشكاوى للشرطة أو أمناء المظالم، أو رفع دعوى أمام المحكمة، أو حتّى الانتظار ريثما يتمّ تنظيم الدورة الانتخابيّة التالية.
وفي هذا السياق، تتمثّل القواسم المشتركة بين كافة هذه الاستجابات في افتراض أن المسؤولين، بما في ذلك في المحاكم وفرق الخبراء والوكالات الحكوميّة، سيتطرّقون لمعالجة المشكلة القائمة وتحقيق العدالة الاجتماعيّة. ومع ذلك، غالبًا ما تعدّ عمليّات

[34]براين مارتن وإيان موراي، "نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة: قضيّة سكوت باركين"، البدائل الاجتماعيّة، المجلّد (24)، العدد (3)، الربع الثالث من عام 2005، الصفحة 46 – الصفحة 49، الصفحة 70

القنوات الرسميّة هذه بطيئةً دائمًا، وتنطوي، بالتالي، على كافة أنواع القواعد واللوائح المرعيّة الإجراء، وتعتمد على الاستعانة بخبراء معنيّين، كالمحامين، وذلك سعيًا لنقل القضيّة من المجال العام، لتّتخذ منحًا متخصّصًا غالبًا ما يكون مناسبًا للحدّ من طاقة المحتجّين.
وعند وقوع المشكلة للتوّ، لا بدّ عليك من السعي لتعزيز الإجراءات المتّخذة وتغيير السلوكيّات والسياسات المعتمدة في هذا الشأن. لذلك، عادةً ما يعدّ من الأفضل الامتناع عن الترويج للقنوات الرسميّة. فقد يكون من الجيّد الإفصاح عن الرغبة في "فتح تحقيق في أعمال الشرطة الوحشيّة" أو "تدخّل الأمم المتّحدة"، إلّا أن الحقيقة نادرًا ما تكون مرضيةً.
وفي بعض الأحيان، قد تتولّى الحكومة أو الشرطة أو غيرها من الوكالات مهمة إنشاء هذه القنوات الرسميّة، التي من الممكن إطلاق مصطلح "التحقيق الرسميّ" عليها. فما هو الأسلوب الأنسب والأكثر فعاليّةً للردّ على ذلك؟

الخيار الأوّل: المشاركة في التحقيق، وذلك من خلال تقديم الطلبات والإدلاء بالشهادات وتشجيع الآخرين على الاضطلاع بالأمور نفسها، الأمر الذي من شأنه المساعدة في التوصّل لتحقيق نتائج أفضل. ومع ذلك، سيتغيّر مسار المساعي المبذولة من مجرّد تنظيم حملات عامة، وستساهم المشاركة في التحقيق في منح مصداقيّة أكبر.
الخيار الثاني: اسعَ لفتح تحقيق أفضل. وفي هذا السياق، من المرجّح أن تخدم التحقيقات الداخليّة التي تديرها وكالات، كالشرطة أو الحكومة على سبيل المثال، متطلّبات الوضع الراهن. لذلك، لا بدّ عليك من طلب إجراء تحقيق مستقلّ علنيّ ومفتوح، تجنّبًا للخضوع لمؤامرات يتمّ التخطيط لها خلال جلسات التحقيق المغلقة التي عادةً ما تتّخذ جلسات الاستماع فيها طابعًا سريًّا.
الخيار الثالث: حاول التسلّل إلى أعماق التحقيق. وفي هذا السياق، اطلب من المؤيّدين لك من الداخل، كأعضاء اللجان أو موظفي الدعم على سبيل المثال، الحصول على معلومات حول سير التحقيق وكيفية التعامل معه بشكلٍ أفضل.
الخيار الرابع: تجاهل التحقيق، واستمرّ في بذل مساعي تنظيم الحملات كالمعتاد، ولا تدع أيّ أمر يشتّت انتباهك أبدًا!
الخيار الخامس: اسعَ لمحاولة تشويه سمعة التحقيق، وذلك من خلال الإشارة إلى نقاط ضعفه الكامنة، كاختصاصاته المحدودة وافتراضاته المضلّلة وتضارب مصالحه وانعدام كفاية الصلاحيّات الموكّلة إليه لاستدعاء الشهود وجمع المعلومات.
الخيار السادس: اسعَ لإجراء تحقيقك الخاص، الذي لا بدّ من أن يتضمّن جلسات استماع عامة وينطوي على جمع الأدلّة الضروريّة وإصدار البيانات العامة.
الخيار السابع: اسعَ لاستخدام التحقيق كفرصة متاحة لتنظيم الحملات والمسيرات أو تنفيذ بعض الحيل، واطلب من الأعضاء حضور جلسات تحقيق لجمع المعلومات ذات الصلة أو اتّخاذ إجراء ما في هذا الشأن، واحرص على تقديم ملاحظاتك حول التطوّرات الراهنة وتوفير تفسيرات بديلة للأحداث القائمة، الأمر الذي من شأنه أن يساهم في حشد الدعم العام المطلوب، بحيث يشكّل التحقيق إحدى الوسائل المتاحة للمساعدة في الاضطلاع بكلّ ذلك.

فما هو الخيار الأفضل على الإطلاق؟ يعتمد ذلك على الوضع القائم. لذلك، لا بدّ عليك من مناقشة الخيارات المختلفة والنظر في الأدلّة المتاحة على ذلك. فما الذي قد حدث مع التحقيقات السابقة؟ وما الذي تعرفه عن أعضاء لجانها؟ وما رأي الجمهور في كلّ ذلك؟
وفي هذا السياق، يتمّ تخصيص وقت آخر لاتّخاذ القرارات الصائبة في هذا الشأن، وذلك عندما يبلغ التحقيق عن كلّ النتائج التي نجح في التوصّل إليها.

- في حال وردت النتائج عكس ما تريد، فلا بدّ عليك من مواجهة ذلك والطعن فيها وحتّى السعي للتأكّد من تطبيق مبادئ العدالة المعتمدة في هذا الشأن.
- أمّا في حال وردت النتائج على النحو الذي ترغب فيه، فقد تواجه تحدّيًا أكبر متمثّلاً في ضرورة تطبيقها. فقد يعتقد العديد من الأفراد أن "المشكلة قد انحلّت بفضل كلّ هذه التوصيات الفعّالة المقدّمة في هذا الشأن" ولن يشعروا بالحاجة الفعليّة للاضطلاع بأيّ أمر إضافيّ. لذلك، لا بدّ عليك من الاستعداد جيّدًا لتنظيم حملة في هذا الشأن.

ففي بعض الحالات النادرة، قد تثير النتائج الضعيفة التي تمّ التوصّل إليها فتيل الغضب من جديد عندما يتوقّع الجميع من هذه التحقيقات تحقيق العدالة المنشودة.
فبعد قضيّة الاعتداء ضربًا على رودني كينغ عام 1991، تمّ رفع دعوى قضائيّة ضدّ أربعة من ضبّاط الشرطة المتورّطين فيها، إلّا أنه تبيّن للجنة التحكيم أنهم غير مذنبين، في الوقت الذي توقّع الجميع إدانتهم. وفي هذا السياق، أسفر الغضب الشديد إزاء عدم

تحقيق العدالة عن اندلاع أعمال شغب في جنوب وسط لوس أنجلوس استمرّت لأيّام لقى أكثر من 50 فردًا فيها حتفهم وتضرّرت ممتلكات تصل قيمتها إلى مئات الملايين من الدولارات. وفي وقت لاحق بعد محاكمة الضبّاط مرّةً ثانيةً، تمّت إدانة إثنين منهم لم يحدث على أثرها أيّ اضطرابات.

مقاومة الترهيب

في خصم الظلم، قد يخاف بعض الأفراد من الاحتجاج بسبب المخاطر التي قد تترتّب عليها والمتمثّلة، على سبيل المثال، في خسارة وظائفهم أو اعتقالهم أو الاعتداء عليهم ضربًا أو تعذيبهم أو حتّى قتلهم. وبالتالي، يشكّل الترهيب إحدى التكتيكات الفعّالة التي من الممكن اعتمادها في وجه الاحتجاج، وبالتالي، تقييمها بكلّ عناية.

وفي هذا السياق، لا بدّ من تذكّر عدد من النقاط البارزة، والمتمثّلة في ما يلي:

- الموافقة والقبول: لا بدّ على أيّ فرد يحاول مقاومة الترهيب أن يتذكّر جيّدًا المخاطر المترتّبة على ذلك.
- المشاركة: عادةً ما يعدّ الاحتجاج بمشاركة عدد كبير من أفراد المجتمع أكثر أمنًا وأمانًا، ما يمنح مصداقيّة أكبر للاحتجاج لو تصرّف الجميع بأسلوبٍ يُصعب التشكيك فيه.
- المخاطرون: يعدّ بعض الأفراد على أتمّ الاستعداد لتحمّل مخاطر أكبر. ففي الكثير من الحالات، يأخذ الشباب زمام المبادرة. ومع ذلك، لا بدّ عليهم من فهم المخاطر المترتّبة على ذلك بشكلٍ جيّد، وتلقّي الدعم الضروريّ لهم على حدّ سواء. وفي هذا السياق، قد تأتي الأعمال المتهوّرة بنتائج عكسيّة في بعض الأحيان. لذلك، يحظى المخاطرون بقيمةٍ بارزة في الحركات الاحتجاجيّة، ولا بدّ، إذًا، من الاستفادة جيّدًا من مساهمتهم لتحقيق أقصى قدر من الفائدة عند الحاجة الفعليّة لذلك.
- الخيارات المتاحة: يعدّ من الجدير التمتّع بأساليب احتجاج مختلفة، بحيث يعدّ بعضها أكثر خطورةً من غيرها. لذلك، لا بدّ من اعتماد تلك الآمنة نسبيًّا منها في حال كان الوضع القائم ينطوي على مخاطر كبيرة بالفعل، وذلك عن طريق تشغيل الأضواء أو اطفائها، أو إحداث ضجيج بالقدور والمقالي، أو ارتداء ملابس ذات الألوان أو الطراز المحدّد على سبيل المثال.
- المقاومة العلنيّة: بالنسبة لبعض الأفراد، يعدّ من الأكثر أمنًا مقاومة الترهيب بشكلٍ علنيّ. فكلّما ارتفع عدد المؤيّدين من حولك، كلّما تحليت بالمزيد من الأمن لا سيّما في حال كنت معرّضًا لخطر الاعتقال، وذلك لتوافر الشهود على كلّ ما يقع من أحداث.

وبالتالي، قد يشكّل الترهيب مصدرًا للغضب. لذلك، لا بدّ عليك من محاولة الحصول على أدلّة نوعيّة على الترهيب وفضح أعماله بين أوساط الجماهير، وبالتالي، المساهمة في الإتيان بنتائج عكسيّة على الهجمات المنفّذة.

وبعد ذلك

بعد انقضاء الأحداث كلّها، فهل يتعيّن عليك، إذًا، الاضطلاع بأيّ أمر آخر؟ نعم، قد تنتهي هذه الأحداث بالفعل، إلّا أن الصراع القائم ضدّ الظلم لم ينتهِ بعد، ولا يزال لذاكرتها ومعناها وتأثير أحداثها وطأةً على المجتمع.

وقعت أحداث الاعتداء على رودني كينغ في عام 1991. وفي السنوات التالية، ظهر كينغ أحيانًا في بعض النشرات الإخباريّة لاعتقاله على يدّ الشرطة في غالب الأحيان. وفي عام 2003، أصدر المعلّق البارز، ديفيد هورويتز، الذي يحظى بوجهات نظر يمينيّة، مقالةً أشار فيها إلى كينغ باعتباره مجرمًا "عدوانيًا" و"مثيرًا للشفقة" و"متهورًا". فما السبب الكامن وراء ذلك؟ يعود ذلك، وبالتالي، إلى مواصلة اعتبار الضرب الذي تلقّاه كينغ رمزًا لوحشيّة الشرطة وعنفها المرتكب بحقّه. ومن خلال تشويه سمعته، كان هورويتز يحاول الدفاع عن الشرطة في وجه النقّاد. وعلى الرغم من انقضاء هذه الأحداث، إلّا أن أهميتها لا تزال محل نزاع قائم.

وقد يعدّ من السهل تذكّر حالات الاعتداء بالضرب التي ترتكبها الشرطة، أو حتّى نسيانها تمامًا أيضًا، أو النظر إليها من منظور مختلف تمامًا، كما هو الحال بالنسبة لقضيّة كينغ، لو كان المتضرّر من الأفراد الأقل شأنًا في المجتمع. وكذلك، من الممكن تفسير أعمال الاعتداء أيضًا باعتبارها واحدةً من الإجراءات الصحيحة أو النظر إليها وكأنها إساءة كبيرة قد تطال أيّ فرد ما، في الوقت الذي قد تتعامل فيه المحاكم أو غيرها من الوكالات المعنيّة الأخرى معها بشكلٍ مناسب أو غير مناسب على حدّ سواء، في حين قد يلجأ الأفراد للتعبير عن آرائهم إزاءها بكّل حريّة أو حتّى التعذّر عن ذلك خوفًا من العواقب المترتّبة عليها.

وفي خلال الحرب العالميّة الأولى عام 1915، أجبرت القوّات العثمانيّة الشعب الأرمنيّ على التخلّي عن منازلهم، ما أسفر عن وفاة مليون فرد أو أكثر من جرّاء المجاعة والإرهاق والمجازر التي تعرّضوا لها، والتي ينظر إليها، على نطاق واسع، باعتبارها واحدةً من أفظع الإبادات الجماعيّة التي وقعت في القرن العشرين، في الوقت الذي لا تزال فيه الحكومة التركيّة الخليفة للإمبراطوريّة العثمانيّة تدّعي عدم وقوعها بتاتًا. وبعد مرور قرن من الزمن على ذلك، لا تزال هذه الأخيرة تستمر في إخفاء المعلومات ذات الصلة بهذه الأحداث وتحاول ترهيب كلّ من يسعى لتفسيرها على هذا النحو. وبعبارةٍ أخرى، تواصل الحكومة التركيّة سعيها لاستخدام أساليب محدّدة للحدّ من فتيل الغضب المثار إزاء الظلم المرتكب.
وبهذا المعنى، لا تزال القضيّة الأرمنيّة قائمةً حتّى هذا اليوم، ولا يزال معناها، وحتّى أحداثها، موضع خلاف.
وقد تستمر الصراعات حول معنى الأحداث، كتلك ذات الصلة بقضيّة رودني كينغ والإبادة الجماعيّة الأرمنيّة، على مدى سنوات أو حتّى عقود عديدة، لتصبح، وبالتالي، جزءًا لا يتجزأ من تاريخ الروايات الأبرز حول العالم، كحياة يسوع المسيح أو الاستعمار الأوروبيّ أو الهولوكوست.
لذلك، لا يعدّ من الحكمة الافتراض أنه، ومع انقضاء الأحداث المباشرة، بات من الممكن نسيان كلّ ما وقع من صراعات والانتقال إلى التركيز على أمور أخرى. وبالتالي، لا بدّ من الحرص على الحفاظ على الذكريات والتحقّق من المتضرّرين من الأحداث ومواجهة مساعي إعادة تفسيرها والاستفسار عن الأحكام غير العادلة الصادرة بشأنها. لذلك، فقد تشكّل ذكرى هذه الأحداث السنويّة فرصةً لإعادة إحياء مشاعر القلق والتيقّظ من المشاكل المحتملة التي قد يحملها المستقبل معه. وفي هذا السياق، ساهمت التجمّعات السنويّة المنظّمة في 6 آب/أغسطس من كلّ عام وذكرى القصف الذريّ على هيروشيما عام 1945، في الحفاظ على مشاعر القلق المشكّلة إزاء مخاطر الأسلحة النوويّة.
وبالتالي، يشكّل تحليل النتائج العكسيّة، ومساعي فضح الجهود المبذولة لإدارة موجات الغضب المثارة، إحدى أهم الأساليب المعتمدة للحفاظ على ذكريات الظلم والقهر وحمايتها من أولئك الذين يفضّلون إخفاء حقائق القصص ويحاولون تشويه سمعة المتضرّرين منها وتفسير أحداثها على النحو الذي يحلو لهم.

5. أسئلة وأجوبة

في ما يلي بعض الأسئلة المطروحة ذات الصلة بنموذج الإتيان بنتائج عكسيّة، وعدد من الإجابات المحتملة المقدّمة في شأنها.

كانت اعتداءات الضرب مروعةً، وشكّلت، بالتالي، إحدى ظواهر الظلم الفادحة المتفشّية. ومع ذلك لم يهتمّ أحدٌ لذلك، ما أسفر عن فشل النموذج.
ينطوي نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة على التكتيكات التي يستخدمها مرتكبو الانتهاكات والأساليب المعتمدة في هذا الشأن لمواجهتها. وبالتالي، فهو لا ينصّ على أيّ مشاعر عضب قد يشعر بها الأفراد إزاء ما تراه أنت كظلم مرتكب.
فكيف لك أن تدرك أن ما من أحد قد اهتمّ بالفعل لذلك أو أظهر مشاعر عضب إزاء هذه الأحداث؟ فربما قد تمّ تقديم شكاوى أو تنظيم احتجاجات لم تسمع عنها.
وهل اطّلعت على التكتيكات التي التي يستخدمها مرتكبو الانتهاكات للحدّ من فتيل الغضب؟ فربما هنا يكمن السبب وراء تعذّر الأفراد عن الاطلاع على اعتداءات الضرب المرتكبة أو تسليط الضوء على أهميّتها.

قبل غزو العراق عام 2003، عمّت الاحتجاجات مختلف أنحاء الدولة. ومع ذلك، وقعت أحداث الغزو على أيّ حال، وفشلت مساعي السلام في وقفها.
في الواقع، أحدثت هذه الاحتجاجات فرقًا كبيرًا، بحيث أظهرت وجود قاعدة معارضة كبيرة، وساهمت، بالتالي، في تشويه سمعة مساعي الغزو.
بعد هجمات 11 أيلول/سبتمبر الإرهابيّة، ارتفعت معدّلات الدعم العالميّ المقدّم للحكومة الأمريكيّة. إلّا أن الغزو المنفّذ على العراق قد بدّد هذه النية الحسنة، بحيث شكّلت الاحتجاجات جزءًا مهمًّا من مساعي تغيير الرأيّ العام.
وفي الأصل، تحلّى بوش وتشيني وغيرهم من أصحاب النفوذ من الذين كانوا يسعون لشنّ الغزو برؤى تمثّلت في الاضطلاع بالمزيد من التدخلات لفرض إراداتهم على دول أخرى، كسوريا وإيران. وبالتالي، شكّلت المعارضة المشكّلة إزاء هذا الغزو إحدى العوامل التي ساهمت في المساعدة في تبدّد هذه المساعي.

صورة تظهر العقوبات المفروضة ضدّ العراق والمتظاهرين المناهضين لغزو العراق خلال الفترة الممتدّة بين عامي 2002 و2003 في واشنطن العاصمة

واستعدادًا للغزو، لجأت الحكومة الأمريكيّة لاستخدام كلّ من الأساليب الخمسة للحدّ من فتيل الغضب المثار، بحيث سعت لإخفاء الأدلّة المتاحة حول قدرات صدّام حسين العسكريّة وتشويه سمعته باعتباره يتقاسم السمات نفسها مع هتلر ومسؤولاً عن هجمات 11 أيول/سبتمبر الإرهابيّة، وكذلك، حرصت على إعطاء مبرّرات خاطئة أو مشكوك فيها لشنّ الحرب على العراق ذات الصلة بأسلحة الدمار الشامل التي كان يمتلكها حسين وارتباطه بتنظيم القاعدة، والحصول على تأييد الأمم المتّحدة، وتهديد الحكومات المشاركة في مجلس الأمن التابع للأمم المتّحدة ورشوتها لدعم مساعي الغزو هذه. ومن دون الاحتجاجات المنظّمة، فقد كانت لتحقّق هذه الأساليب نجاحًا أكبر. فعلى سبيل المثال، إن لم يتمّ تنظيم أيّ احتجاج، فقد كانت هذه الحكومات لتخضع لضغوط الحكومة الأمريكيّة، ما قد كان ليؤدّي إلى تمكين مجلس الأمن من تأييد الغزو المنفّذ، وبالتالي، منحه شرعيّة أكبر وإتاحة إمكانية شنّ غزوات أخرى مستقبليّة على حدّ سواء.[35]

ما رأيك بهذه الفكرة؟سنخطّط لاتّخاذ إجراء من شأنه أن يؤدّي إلى تعرّض النشطاء للاعتداء بالضرب أو حتّى وفاتهم، الأمر الذي من شأنه أن يساهم في إثارة الغضب وتسليط الضوء على قضيّتنا.

يعدّ من الممكن التخطيط للإتيان بنتائج عكسيّة، إلّا أن ذلك قد يكون محفوفًا بالمخاطر. فقد يتمّ استخدام أيّ أدلّة أو حتّى تكهنات ضدّك للتشويه من سمعتك. وبالتالي، نادرًا ما يُنصح بتشجيع الآخرين على مهاجمتك على أمل أن يأتي ذلك بنتائج عكسيّة عليهم.
فبدلاً من ذلك، يمكنك الاضطلاع بإجراء محدّد يكون ردّ الخصم عليه سيّئًا لو مهما كانت نتائجه. وتتمثّل إحدى الأمثلة المقدّمة على ذلك في أسطول الحريّة الذي كان متوجّها إلى غزّة عام 2010. فلو سمحت الحكومة الإسرائيليّة للأسطول البحريّ بالتوقّف في غزة، فكان ذلك ليؤدّي إلى وقف الحصار والإشارة إلى ضعفها. أمّا لو سعت الحكومة لإيقاف الأسطول، فقد كان لينظر إلى ذلك باعتباره إحدى أشكال الظلم المرتكبة بحقّ الشعب. وكما اتّضح الأمر، فقد تسبّب الهجوم الذي نفّذه الكوماندوز الإسرائيليّ، والذي أدّى إلى مقتل تسعة ركّاب وضرب الآخرين منهم واعتقالهم، بالإتيان بنتائج عكسيّة ضخمة على الحكومة الإسرائيليّة. ومع ذلك، لم يكن أيّ من قادة الأسطول يأملون في هجوم إسرائيليّ، ولا حتّى من الأخلاقيّ التخطيط للتسبّب في حالات وفاة وإصابات خطيرة، إلّا أنهم استعدّوا جيّدًا لمواجهة هذه النتائج.
وبالتالي، يمنح ذلك الخصم عددًا من الخيارات المتاحة أمامه.

[35] براين مارتن، "إتيان الهجوم العراقيّ بنتائج عكسيّة"، المجلّة الاقتصاديّة والسياسيّة الأسبوعيّة، المجلّد (39)، العدد (16)، 17 – 23 نيسان/أبريل 2004، الصفحة 1577 – الصفحة 1583

لذلك، لا بدّ من الاستعداد لهذا الأمر جيّدًا والتحضير له بعنايةٍ، وذلك حتّى تنجح مساعي الإتيان بنتائج عكسيّة على الهجمات المنفّذة ضدّك. وقد ذاع صيت هذه القضيّة، باعتبار أن بعض النشطاء قد توقّعوا مقتلهم. فلو لم يدرك أحدٌ ذلك، فلم تكن عمليات القتل لتأتي بنتائج عكسيّة. لذلك، لا بدّ من الاستعداد جيّدًا لذلك.

فتخيّل لو قرّر بعض النشطاء من الذين يعارضون مساعي رزع الألغام الأرضيّة السير في منطقة ملغومة، وأسفر ذلك عن تشويه البعض منهم أو قتل البعض الآخر. فهل سيأتي ذلك بنتائج عكسيّة على مصنّعيها ومستخدميها؟ بالكاد سيحدث ذلك، باعتبار أنه سينظر إلى النشطاء باعتبارهم من المضلّلين أو الأغبياء ولتعذّر الخصوم عن القيام بأيّ أمر معقول.

يهتمّ نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة، وبشكلٍ ملحوظ، بالتكتيكات المعتمدة. لذلك، لا بدّ من استحداث استراتيجيّة جيّدة على المدى الطويل.

نعم، يتناول نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة الإجراءات المتّخذة على المدى القصير، ونعم، تعدّ الاستراتيجيّات المعتمدة في هذا الشأن مهمةً أيضًا. فلنلقي نظرةً، إذًا، على الصلة القائمة في ما بينهما.

وفي هذا السياق، من الممكن النظر إلى الاستراتيجيّة باعتبارها خطةً معنيّةً بتحقيق هدف ما، في الوقت الذي تراعي فيه الظروف السائدة والموارد المتاحة والحلفاء المحتملين وما إلى ذلك. أمّا بالنسبة للتكتيكات، فتعدّ بمثابة إجراءات يتمّ اتخاذها في سياق الاستراتيجيّة. وبالتالي، يكمن السؤال الرئيس المشكّل في هذا الشأن في ما إذا كانت هذه التكتيكات المعتمدة متوافقةً مع الاستراتيجيّة المستحدثة.

وبالتالي، ينطوي نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة على بعض الافتراضات الضمنيّة المشكّلة إزاء الاستراتيجيّة ومدى أهميتها في حشد الدعم العام ضدّ الظلم. ففي حال توافق استراتيجيّتك المعتمدة مع هذه الافتراضات، فلن تواجه، إذًا، أيّ مشكلة محتملة.

ولنفترض أن بعض النشطاء يشعرون بالإحباط بسبب عدم إحراز أيّ تقدّم ملحوظ في هذا الشأن، وقرّروا، بالتالي، اللجوء لاستخدام العنف ضدّ خصومهم ومعاملتهم بشدّة. فإن كان ذلك أسلوبك المعتمد، تجنّب، بالتالي، استخدام نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة، باعتبار أنه يعتمد اتجاهًا مختلفًا تمامًا.

فقد تنطوي استراتيجيّتك على إمكانيّة الاضطلاع بكلّ ما ترغب به وما قد يجعلك تشعر بحالةٍ جيّدة. وفي حال قررت ارتداء زيّ غوريلّا أو الصراخ في وجه غرباء أو إحداث فوضى في إحدى المطاعم، فاحرص على الامتناع عن استخدام نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة، باعتباره أداةً لحشد الدعم العام وليس لإضفاء شعور جيّد. ومع ذلك، لا بدّ عليك من السعي لإيجاد سبل تجعلك تشعر بالرضا أثناي استخدام النموذج هذا.

وبالتالي، تعدّ الاستراتيجيّة مهمةً للغاية، إلّا أنها لا تشكّل العنصر الأبرز بالنسبة لمعظم النشطاء الذين يسعون لاتّخاذ إجراءات فعليّة في هذا الشأن. فإن كنت تهتمّ بذلك، لا بدّ عليك، إذًا، من التفكير في المقاربات الأكثر توافقًا مع الاستراتيجيّة الفعّالة المعتمدة في هذا الشأن، وإن كان نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة يعدّ مناسبًا في هذه الحالة، فاسعَ، إذًا، لمساعدة الآخرين في فهمه جيّدًا.

في بعض الأحيان، قد نسعى للاضطلاع ببعض المساعي التي من شأنها الحدّ من فتيل الغضب، أو حتّى إخفاء بعض الأمور أو الصراخ إساءةً على الآخرين. فهل يعني ذلك أننا من مرتكبي الانتهاكات؟

يعدّ من المهم الفصل بين عنصرين اثنين، والمتمثّلين، أولاً، بالأمور التي ينظر إليها باعتبارها غير عادلة، كالضرب والمذابح، وثانيًا، بالأساليب المعتمدة من أجل الحدّ من فتيل الغضب المشكّل إزاء الأمور غير العادلة.

فإن كنت تعتدي بالضرب على الأفراد أو تطلق النار عليهم، فستعدّ، بالتأكيد، من بين مرتكبي الانتهاكات، وسينظر إليك الآخرون باعتبارك أنت المشكلة بحدّ ذاتها.

فتخيّل لو أنك انضميّت لإحدى المسيرات الاحتجاجيّة وشرعت الشرطة بضربك بشدّة، وقرّرت، ولأسباب شخصيّة، الامتناع عن إخبار أحد بذلك، وذلك لعدم رغبتك ربما بأن تدرك عائلتك أو صاحب عملك أنك كنت تشارك في احتجاج ما، الأمر الذي ساهم في تستّرك على الأفعال المرتكبة. ومع ذلك، فقد لا يعني ذلك أنك من مرتكبي الانتهاكات، بل يشير إلى تعذّرك عن فضح الاعتداءات بالضرب المنفّذة في هذا الشأن، ما قد يحدّ من فتيل الغضب المثار إزاء ذلك.

فتخيّل لو أنك انضميّت أيضًا لإحدى المسيرات الاحتجاجيّة وبدأت بترديد شعارات سيّئة تطال الشرطة. فهل من الممكن اعتبارك من مرتكبي الانتهاكات؟ نعم. ومع ذلك، لا يكاد مستوى خطورة هذه الهتافات يضاهي ذلك الخاص بالاعتداءات، بحيث تتمثّل

المشكلة الرئيسة القائمة في هذا الشأن في ما إذا كان من المفترض القيام بذلك أم لا، كي لا يعتقد عدد من المراقبين أن الضرب كان مبرّرًا.
فعندما يواجهك أيّ أحد ويتّهمك قائلاً إنّك تحاول "التستّر على الأفعال المرتكبة" أو "استخدام قنوات رسميّة"، فيمكنك، بالتالي، الردّ عليه مجيبًا بهذا السؤال "ما المشكلة؟"، بحيث أنك تستخدم أساليب من شأنها الحدّ من فتيل الغضب فحسب، تدعمها أسباب وجيهة بالفعل!
وعندما يتوجّه إليك فردٌ آخر قائلاً إنّك "تلجأ لاستخدام تكتيكات الترهيب"، فلا بدّ عليك، إذًا، من النظر في ادّعاءاتهم هذه بكلّ عناية. فإن كان ما تضطلع به يهدّد الآخرين، فربما قد يكون ذلك أمرًا خاطئًا، وربما قد تحاول، بذلك، مواجهة أفعال مرتكبي الانتهاكات بأسلوبٍ لاعنفيّ، بحيث قد لا يتشاركون وجهة النظر نفسها معك أو ينظرون إلى العصيان المدنيّ باعتباره يشكّل تهديدًا خطيرًا على النظام الاجتماعيّ.
وبالتالي، لا تعدّ الأساليب التي من شأنها الحدّ من فتيل الغضب سيئةً تلقائيًا. لذلك، لا بدّ من النظر في كلّ قضيّة على حدة استنادًا إلى وقائعها الموضوعيّة المحدّدة، والتدقيق في كلّ ما يحدث بالفعل عندما يتمّ استخدام مصطلحات "التستّر" أو "الترهيب".

تعمل القوّات الإسرائيليّة على تفريق المحتجّين بكلّ عنف أثناء مظاهرة منظّمة في مدينة الخليل، وإطلاق الغاز المسيّل للدموع والقنابل الصوتيّة، واعتقال أحد النشطاء الألمانيّين

أنا أنتمي إلى مجموعة على وشك البدء في شنّ حملة ما أعتقد أنها مضلّلة، وذلك استنادًا إلى تجاربي السابقة، وتتوافق أفكاري مع تلك المنصوص عليها في نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة. فكيف لي أن استخدم النموذج لتشجيع الأعضاء على دعم نهج ما من شأنه المساهمة في تحقيق أهداف المجموعة المنشودة؟
في هذا السياق، يمكنك محاولة البدء في مناقشة مجموعة من الخيارات ذات الصلة المتاحة مستخدمًا هذه العبارة على سبيل المثال: "يشير نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة إلى أنه يعدّ من الأفضل تجنّب اللجوء إلى القنوات الرسميّة. لذلك، فقد ينبغي علينا التفكير في ذلك جيّدًا قبل المضيّ قدمًا".
وبالتالي، يتعيّن عليك الانفتاح على أفكار مختلفة والاستماع إلى وجهات نظر الآخرين ومشاركة منظورك الخاص معهم أيضًا. فربما قد يكون نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة على خطأ في هذه الحالة أو تعدّ الاعتبارات الأخرى أكثر أهميّةً من غيرها.
ومع ذلك، إن نجحت في الاستماع إلى الآخرين وتمكّنت من مناقشة أفكارهم ومجادلتها وما إلى ذلك، وقرّر أولئك مواصلة مساعيهم المبذولة في هذا الشأن، فإليك بعض الاحتمالات المتاحة في ما يلي:

- اطلب منهم تقديم أدلّة من حملات أخرى تؤكّد نجاح خطتهم.
- حاول تنبؤ ما قد سيقع من أحداث ودوّن ملاحظاتك المشكّلة في هذا الشأن. فإن حدث ذلك بالفعل، يمكنك البوح بهذه العبارة قائلاً: "لقد سبق وقلت لكم ذلك!". ومع ذلك، فقد لا يجعلك ذلك تحظى بشعبيّةٍ أكبر.
- اقترح فكرة الاضطلاع بتجربةٍ صغيرة، تقوم من خلالها باختبار العديد من الأساليب المختلفة، وذلك قبل الشروع في تنظيم الحملة الرئيسة.

- اسألهم عن الأدلّة التي قد تغيّر رأيهم. وإن تعذّروا عن التفكير في أيّ منها، فعليك، إذًا، الاستعانة بالدوافع والمعتقدات التي يتحلّون بها باعتبارها ذات أهميّة أكبر من الأدلّة.

وبعد كلّ ذلك، فقد تكتشف أنهم، وبكلّ بساطة، لا يستمعون لك ويظنّون أنك مجرّد عبء عليهم لمواصلة استجوابهم عن حملة ملتزمون بها. فماذا بعد؟

الخيار الأوّل: انضمّ إلى الحملة، وابذل كلّ ما في وسعك لتحقيق نجاحها. ففي بعض الأحيان، قد يعدّ من الأهم العمل معًا كمجموعةٍ واحدة والفشل معًا أيضًا، من احراز نجاح على المدى القصير ومن ثمّ الانفصال عنهم بسبب الخلافات والنزاعات الداخليّة القائمة في ما بينكم. فعلى المدى الطويل، قد يشكّل العمل معًا الخيار الأفضل على الإطلاق، باعتبار أن الجميع قد يتعلّم من أخطائه، أو حتّى يعيد تكرارها مجدّدًا.

الخيار الثاني: اسعَ لتبديد جهودهم، وذلك لاعتبارهم من المضلّلين. ومع ذلك، يشكّل هذا الخيار حلّاً سيّئًا للغاية، الأمر الذي من شأنه أن يحتم عليك المضيّ قدمًا.

الخيار الثالث: اترك المجموعة وانضمّ إلى واحدة أخرى، أو حتّى اسعَ لتشكيل مجموعتك الخاصة أو العمل بمفردك إن لزم الأمر، تجنّبًا لأيّ اختلافات محتملة.

6. التطبيق الفعليّ

تُتاح لك إمكانيّة العمل على هذه التمارين بشكلٍ فرديّ أو جماعيّ. ففي ورشة العمل، قد يعمل عدّة أفراد أو مجموعات في الوقت نفسه على التمرين نفسه، ومن ثمّ يسعون لمقارنة أجوبتهم وتقييمها.

1. تحليل أفعال الظلم المرتكبة

ابدأ بتحديد إحدى أفعال الظلم المرتكبة الشائعة ذات الصلة بتجربةٍ شخصيّة، كالتنمّر المدرسيّ، أو دراسة قائمة، كالهولوكوست، أو حتّى حملة تمّ تنظيمها للدفاع عن قضيّة ما، كالجنود الأطفال.

(أ) دوّن الأساليب المعتمدة التي استخدمها مرتكبو الانتهاكات والتي من شأنها الحدّ من فتيل العضب، وذلك في إطار الفئات الخمس التالية:
- التستّر على الأفعال المرتكبة؛
- التقليل من قيمة الهدف؛
- إعادة تفسير الأحداث التي وقعت؛
- استخدام القنوات الرسميّة؛
- ترهيب الأفراد المتورّطين.

(ب) دوّن الأساليب التي استخدمها الأهداف بالفعل للمساهمة في تعزيز فتيل الغضب، وذلك في إطار الفئات الخمس التالية:
- فضح ما ارتكب من أعمال ظلم؛
- التحقّق من الهدف؛
- تفسير الأحداث التي وقعت ظلمًا؛
- حشد الدعم العام وتجنّب اللجوء إلى القنوات الرسميّة؛
- مقاومة الترهيب.

(ج) دوّن مصادر معلوماتك ومعارفك المشكّلة إزاء كلّ من هذه الأساليب المعتمدة، بما في ذلك الملاحظات والمحادثات والنشرات الإخباريّة والمحاضرات وكتب التاريخ.

(د) دوّن السبل التي من الممكن الاطلاع على المزيد من التفاصيل حول الأساليب المستخدمة من خلالها.

(ه) دوّن الأساليب التي من الممكن أن يستخدمها الأهداف التي من شأنها المساهمة في تعزيز فتيل الغضب (حتّى ولو لم يتمّ اعتمادها في ذلك الوقت).

(و) فكّر في ما إن كان سيساهم تصنيف هذه الأساليب في المساعدة في فهم ما قد حدث في هذا الشأن.

2. دراسة إحدى المقالات التي تتضمّن مثالاً على نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة

اختر إحدى المقالات التي تتناول مثالاً على نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة.[36]

(أ) اكتب ملخصًا موجزًا يتضمّن أفكار المقالة الرئيسة، بما في ذلك قائمة من الأساليب المعتمدة التي من شأنها المساهمة في الحدّ من فتيل الغضب أو تعزيزه.

(ب) قيّم التحليل، وحدّد الأسلوب الذي تمّ من خلاله استخدام الأدلّة، وما إن تمّ تصنيف الأساليب هذه بشكلٍ معقول ودعم الاستنتاج الذي تمّ التوصّل إليه جيّدًا، والعناصر التي قد تسعى لتغييرها حتّى تجعل المقالة أكثر صرامةً ومقنعًا.

(ج) دقّق في أسلوب كتابة المقالة. فهل تتّخذ طابعًا أكاديميًّا أم شعبيًّا؟ وهل تمّ التعبير عن موضوعها بكلّ وضوح؟ وهل يتمّ عرض أحداثها بأسلوبٍ سرديّ أو بأسلوبٍ آخر لتقديم المعلومات؟ وما الذي قد تسعى لتغييره لجعل هذه المقالة أكثر ملاءمةً لجمهورٍ معيّن، كطلّاب المدارس أو قدامى المحاربين العسكريّين على سبيل المثال؟

(د) اقرأ مقالة أخرى محرّرة حول الموضوع نفسه لم تلجأ لاستخدام نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة، كتلك الواردة في تقرير إخباريّ على سبيل المثال. فهل ثمّة أيّ معلومات جديدة من الممكن دمجها في مقالتك؟ وهل ثمّة أيّ معلومات تتعارض معها؟ وهل تتضمّن المقالة الجديدة أيّ أساليب لا تتناسب مع نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة؟

3. تقديم الملاحظات والتعليقات

اختر فرصةً مناسبةً للتعليق على مقالة أو خبر ما يتناول موضوع الظلم، وانشر تعليقك باستخدام أفكار من نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة. فعلى سبيل المثال، قد تقدّم ملاحظاتك حول الأسلوب الذي أتت من خلاله بعض الإجراءات بنتائج عكسيّة والذي يتمّ بواسطته التقليل من قيمة الهدف وإعادة تأطير الأوضاع القائمة. وفي هذا السياق، لا يتطلّب منك الأمر الإشارة إلى نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة على الإطلاق، بل مجرّد ذكر التكتيكات المعتمدة أو العواقب المترتّبة عليها. وكذلك، احرص على النظر إلى التعليقات اللاحقة الواردة في هذا الشأن لمعرفة ما إن استجاب أحدٌ لما تقدّمت به من ملاحظات من شأنها التحفيز على الإجابة بشكلٍ مدروس والاضطلاع بمناقشاتٍ أكثر استنارةً.

4. إعداد تحليل النتائج العكسيّة

تعدّ الخطوات التالية مجرّد اقتراحات مقدّمة في هذا الشأن، لذلك، من الممكن لك تعديلها حتّى تتناسب مع مختلف احتياجاتك ومتطلّباتك.

(أ) اختر موضوعًا تكون مطّلعًا عليه وتدرك تفاصيله، أو اقرأ مقالةً أو اثنتين عنه.

(ب) اختر نسقًا محدّدًا ليتّخذه التحليل، كالمقالة أو العرض التقديميّ أو الملصق على سبيل المثال.

(ج) اكتب مسوّدة أوليّة تستند، وبالكامل، على معارفك المكتسبة، وذلك من دون الرجوع إلى أيّ مصادر معلومات أخرى.

(د) تحقّق من عدّة مصادر أخرى إضافيّة واطّلع عليها، في الوقت الذي تسعى فيه لتعديل مسودتك ومراجعتها خلال سير عمليّة إعداد التحليل.

(ه) اعرض المسودّة على فرد أو اثنين من غير الخبراء بمجرّد أن تصبح متماسكةً بعض الشيء، وذلك من أجل محاولة الحصول على تعليقاتهم وملاحظاتهم قبل مواصلة إجراء المزيد من التنقيحات عليها.

(و) اعرض المسودّة على بعض الأفراد المطّلعين على الموضوع، واسعَ لإجراء التنقيحات اللازمة عليها استنادًا إلى التعليقات والملاحظات الواردة منهم.

(ز) اسعَ لاستخدام تحليلك أو نشره في حال رأى كلّ من الخبراء وغير الخبراء أن نتائجه مرضيةً، أو أعد مراجعة الخطوات (د) و(ه) و(و) حتّى تحقّق المخرجات المنشودة.

نصيحة: ابدأ تحليلك خطوةً بخطوةٍ، وذلك من أجل أن تتمكّن من الانتهاء منه في وقتٍ معقول. فعندما تكتسب المزيد من الخبرات ذات الصلة في هذا الشأن، ستتمكّن، وبالتالي، من التطرّق للتعامل مع مشروع أكبر وأوسع نطاقًا.

5. التخطيط لشنّ هجوم

(أ) تخيّل هجومًا محتملاً يطالك أنك شخصيًّا أو مجموعتك أو أيّ فرد آخر يهمّك.

(ب) دوّن الأمور التي من الممكن أن يضطلع بها المهاجم للحدّ من فتيل الغضب المشكّل إزاء الهجوم.

---

[36] مواد نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة: http://www.bmartin.cc/pubs/backfire.html

(ج) دوّن الأساليب التي ستسعى أنت أو مجموعتك أو أيّ فرد آخر لاعتمادها من أجل تعزيز فتيل الغضب المشكّل إزاء الهجوم.
(د) دوّن أبرز الأساليب التي من شأنها المساعدة في الاستعداد للهجوم.
(ه) حدّد الوقت والمكان والأسلوب الذي سيتمّ تنفيذ هذه الاستعدادات من خلالها.
(و) إن كان بإمكانك الاضطلاع بهذه الاستعدادات شخصيًّا، فقمّ بذلك على الفور! أمّا في حال كان لا بدّ من مشاركة الآخرين في ذلك، فاسعَ لإعداد خطّة من شأنها تشجيعهم على القيام بذلك.

6. اللجوء إلى اعتماد التكتيكات
قد يساعدك ذلك في إشراك فردين أو أكثر في التمرين.

(أ) انقسم إلى فريقين اثنين، وهما فريق هجوم وفريق دفاع، واسعَ للبتّ في نوع الهجوم العام الذي سيتمّ تنفيذه.
(ب) اطلب من فريق الهجوم التفكير بأساليب مبتكرة لشنّ الهجوم، بما في ذلك تلك التي تنطوي على مساعي التقليل من فتيل الغضب المثار، ومن فريق الدفاع تخيّل أساليب أخرى للاستعداد لمواجهة ذلك وتعزيز موجات الغضب.
(ج) اطلب من الفريقين مقارنة أفكارهم.
واستنادًا إلى السيناريو المعتمد، يمكن لفريق الدفاع الانتظار لسماع خطط فريق الهجوم أو التحضير لذلك في الوقت نفسه.

7. القيام بتنبؤاتٍ
احرص على مشاهدة الأخبار واختيار خبر بارز انطوت أحداثه على خطأ محتمل ارتكبته إحدى المجموعات ذات النفوذ الكبيرة. وقد شملت الأمثلة المتاحة خلال عام 2011 على ذلك الاعتداءات المنفّذة على المتظاهرين المصريّين، وفضيحة القرصنة التي طالت شركة "نيوز كوربوريشن"، والتهم الموجّهة ضدّ مؤسس موقع "ويكيليكس"، جوليان أسانج.
(أ) اسعَ لتشكيل تنبؤات حول أنواع الأساليب التي استخدمتها هذه المجموعة من أجل الحدّ من فتيل الغضب.
(ب) اسعَ أيضًا للحصول على المزيد من المعلومات ذات الصلة في هذا الشأن من مصادر متنوّعة، أو انتظر ريثما يتمّ فضح أمور إضافيّة للتحقّق من مدى صحّة توقعاتك.

8. إجراء محادثات
في بعض الأحيان، قد تلتقي بأحد الأفراد المعنيّين، وبشدّة، في مجال مواجهة أفعال الظلم المرتكبة ومعارضتها، من الذين يعملون في إحدى مراكز مكافحة الاغتصاب أو الحملات المنظّمة للدفاع عن بعض القضايا البيئيّة أو يشاركون، وبشكلٍ نشط، في منظمة العفو الدوليّة. فإن أتيحت لك فرصة التحدّث مع أيّ منهم، استفسر عن قضيّتهم، مستخدمًا فئات نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة المحدّدة في هذا الشأن. وفي ما يلي بعض من الأسئلة المحتملة المطروحة عن الخصوم، كالمغتصبين أو الشركات الملوّثة أو الحكومات القمعيّة.

- هل يسعون لتغطية المعلومات ذات الصلة بأنشطتهم؟
- هل يحاولون التقليل من قيمة أهدافهم؟
- هل يكذبون بشأن ما قاموا به؟ وهل يقلّلون من وطأته؟ وهل يلقون اللّوم على الآخرين؟ وهل يرون الأمور من منظور ووجهة نظر مختلفة تمامًا؟
- إلى أيّ مدى تعمل الوكالات الحكوميّة والمحاكم على حلّ المشكلة القائمة؟
- هل يسعون لاستخدام التهديدات والهجمات لترهيب الأفراد وتخويفهم؟

9. ابتكر تمرينك الخاص!

الملحق: الدروع البشريّة والنتائج العكسيّة الوقائيّة – يورجن يوهانسن

عندما يستخدم البشر أنفسهم لحماية بعض الأهداف المحتملة، كالمباني على سبيل المثال، فيُطلق عليهم، وبالتالي، مصطلح "الدروع البشريّة". وفي هذا السياق، تتمثّل الفكرة من ذلك في تردّد الخصم عن شنّ هجومه لو رأى مواطنون من الأبرياء والمحترمين على مقربة من هدفهم المنشود، وذلك لإمكانيّة وقوع نتائج عكسيّة محتملة مترتّبة على ذلك.

الأهداف البشريّة

غالبًا ما يُشار إلى المدنيّين الذين يسعون لحماية غيرهم من المدنيّين الآخرين باعتبارهم "حرّاسًا شخصيّين غير مسلّحين". وفي هذا السياق، ترعى منظمات، كـ"منظمة قوة السلام بدون عنف" و"منظمة كتائب السلام الدوليّة" على سبيل المثال، المتطوّعين وتدعم جهودهم المبذولة للعمل كدروعٍ بشريّة للنشطاء الذين يتعرّضون للتهديد على يدّ الدولة أو العصابات أو المافيات أو الجماعات شبه العسكريّة، بحيث تحظى بسجلٍ حافل من الإنجازات النوعيّة والفعّالة المحقّقة في هذا الشأن.[37] وفي الحالات القليلة التي قد يتعرّض فيها الحرّاس الشخصيّون غير المسلحين للهجوم، فيساهم تاريخ مجموعتهم الموثّق والمحترم جيّدًا في جعل من الصعب التقليل من قيمتهم أو ترهيبهم على حدّ سواء.

وبالتالي، تتمثّل إحدى أبرز الأنشطة الرئيسة التي تضطلع هذه المجموعات بها في توثيق كلّ ما يفعلون حتّى يصبح من الصعب على المهاجمين التستّر على أيّ ضرر يحدث. كذلك، تحظى هذه المنظمات بنظامٍ متطوّر معنيّ بنشر المعلومات المتاحة حول أنشطتها. ونظرًا لتدخّل الأفراد المحترمين بشكلٍ مباشر في ذلك أو عملهم كسفراء لهذه المساعي، فيعدّ من الصعب إعادة تفسير الأحداث التي وقعت من خلال الكذب أو إلقاء اللّوم على الآخرين أو إعادة تأطير الأوضاع القائمة.

المباني والبنية التحتيّة

في حالات الحرب، يتمّ استخدام البشر أحيانًا كدروعٍ لحماية المباني والبنية التحتيّة.

عبر وفدٌ من الدروع البشريّة الحدود متوجّهًا من سوريا إلى شمال العراق في 15 شباط/فبراير 2003. وتظهر الصورة حشودًا كبيرةً قد استقبلت الحافلات وهي تشقّ طريقها نحو الحدود وتعبر الشارع المجاور، في الوقت الذي لم تدرك فيه الدروع نفسها تنظيم ذلك حتّى الليلة السابقة. أمّا الرجل الذي يظهر وهو يخرج من الباب، فهو مواطن بريطانيّ يُدعى غودفري مينيل ويبلغ من العمر 68 عامًا ويتقن اللغة العربيّة جيّدًا ويشرح للحشود السبب الكامن وراء تنظيم هذه الحملة

وعندما بدأ حلف شمال الأطلسيّ (الناتو) في قصف صربيا في 24 آذار/مارس 1999، سارع المئات من النشطاء المحليّين والدوليّين للوقوف على الجسور القائمة في كلّ من بلغراد وغرديليتسا ونوفي ساد وغيرها من المدن الأخرى، وذلك في محاولة لمنعها من التدمير بالقنابل. وقد جاء بعض الأجانب من دول شاركت جيوشها في أعمال القصف. وبسبب وجود العديد من وسائل الإعلام الدوليّة القائمة هناك، تجنّب قادة الناتو استهداف الجسور التي كانت الحشود تقف عليها، في الوقت الذي تمّ فيه تدمير العديد من الأجزاء الأخرى من البنية التحتيّة.

---

[37] ليام ماهوني ولويس إنريكي إيغورين، "الحرّاس الشخصيّون غير المسلحين: مرافقة دوليّة لحماية حقوق الإنسان"، (هارتفورد الغربية، كونيتيكت: صحيفة كيوماريان، 1997)

وفي شهر كانون الثاني/يناير 2003 وقبل الغزو الوشيك على العراق، غادر 30 متطوّعًا من الدروع البشريّة لندن وتوجّهوا نحو العراق للبقاء في بغداد تحسّبًا لأيّ أعمال تفجير محتملة. وأثناء رحلتهم، انضمّ عددٌ أكبر من النشطاء إلى الحافلة من الذين أرادوا حماية الأهداف في العراق، وقد قرّروا المكوث في محطّتي إنتاج مياه ومحطّتي إنتاج طاقة وصومعة أغذية ومرفق اتصالات ومصفاة نفط على حدّ سواء.[38] وفي هذا السياق، تمثّل هدفهم في محاولة منع شنّ الهجمات باعتبار أنهم يعيشون بالقرب من هذه المنشآت أو ضمنها. وفي أحداث عام 2003، لم يتمّ تفجير سوى مرفق الاتصالات من بين كلّ تلك المواقع، وذلك بعد أن غادرته الدروع البشريّة بيومٍ واحد.

الطبيعة

لجأت بعض المساعي المبذولة في وجه إزالة الغابات إلى استخدام تقنيّة الدروع البشريّة لحماية الأشجار. وفي الهند، بدأت النساء التابعات لحركة "تشيبكو" القائمة على سفوح سلاسل جبال جارهوال بـ"معانقة الأشجار" في أوائل سيعينيّات القرن الماضي عندما جاء الحطّابون لقطعها. وتعود هذه الأحداث إلى عام 1731 عندما قادت أمريتا ديفي مئات من الأفراد لحماية الأشجار المهدّدة في مجتمعاتهم.

وقد سعى النشطاء البيئيّون المعاصرون لتطوير ذلك أكثر فأكثر، بحيث قرّر بعضٌ منهم العيش داخل الأشجار لأسابيع طويلة، وذلك من أجل المساهمة في الحدّ من إمكانيّة قطعها، في الوقت الذي دفه فيه آخرون أجسادهم في ثقوب عميقة قائمة على طرق الغابات، وذلك من أجل منع نقل الأخشاب وإخراجها منها والحدّ من حركة مرور الشاحنات الكبيرة. وقد نجحت مساعي بعض من هذه الحملات، في حين لا يزال بعض منها قائمًا حتّى الآن.

الخلاصة

استخدمت الدروع البشريّة الثلاثة هذه نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة بشكلٍ استباقيّ، بحيث سعت، وفي هذا الشأن، لوضع أنفسها، وبصورةٍ عمديّة، في خطر كبير وإحداث ضجّة كبيرة في حال تعرّضت لأيّ أذى. وعلى الرغم من تعذّر هذا النوع من التقنيّات عن العمل بفعاليّة دائمًا، إلّا أن الاستعداد الدقيق لمواجهة ذلك قد يساهم في تعزيز احتمالات نجاحها. فعندما يخطّط النشطاء لتنظيم أعمالهم، فسيواجه أصحاب السلطة صعوبات كبيرة عند محاولة منع انتشار فتيل الغضب الشعبيّ.

1. من خلال توثيق الأفعال المرتكبة بشكلٍ جيّد ونشر أخبارها بفعاليّةٍ، يجعل النشطاء من الصعب على الخصوم التستّر على الفظائع.
2. يسعون لمحاولة إشراك أفراد محترمين للحدّ من إمكانيّات التقليل من قيمة المجموعة التي تقع على عاتقها مسؤوليّة الاضطلاع بهذه الأعمال.
3. يسعون للحدّ من الخيارات المتاحة أمام خصومهم للكذب أو إلقاء اللّوم على الآخرين أو إعادة تأطير الأوضاع القائمة، وذلك من خلال الوصول إلى وسائل الإعلام الرئيسة وغيرها من القنوات الإعلاميّة البديلة على حدّ سواء.
4. يسعون، وكلّما أمكن ذلك، لبناء علاقات مع هيئات رسميّة، كالسفارات والمنظمات الدوليّة والحكومات.

وفي هذا السياق، قد تركّز بعض الحملات المعنيّة بالتقليل من قيمة الهدف ومواجهة مثل هذه الإجراءات على محدوديّة مشاركة المتطوّعين فيها. فعلى سبيل المثال، يشير المهاجمون، وفي بعض الأحيان، إلى أنه تمّ إصدار أوامر محدّدة تقتضي بمشاركة الدروع البشريّة في هذا الشأن، وغالبًا ما تتّخذ مساعي التقليل من قيمة الهدف شكل شائعات قد يُعاقب المشاركون على أثرها في حال رفضوا تصديقها أو يكافؤون عليها إن شاركوا في تعميمها. وكذلك، قد يتمّ وصف الأفراد الآخرين باعتبارهم من السذج أو يتمّ اتهامهم بالتعاون مع "العدوّ"، ما يحتم عليهم التحلّي بشفافيّة أكبر للحدّ من تأثير هذه الاتهامات ووطأتها عليهم. ومع ذلك، لا بدّ من إجراء المزيد من التجارب والأبحاث في هذا الشأن، وذلك من أجل تحسين أوجه استخدام الدروع البشريّة والاستفادة منها.

[38] http://www.humanshields.org

في عام 1991، شنّت القوّات الإندونيسيّة هجومًا على المحتجّين في مدينة ديلي في تيمور الشرقيّة، ما قد شكّل كارثةً سياسيّةً على الحكومة الإندونيسيّة، وساهم، وبالتالي، في تعزيز الدعم الدوليّ المقدّم للحصول على استقلال الجمهوريّة والإتيان بنتائج عكسيّة عليها، وهو ما يسعى نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة لتفسير أسبابه وتوضيحها.
فتخيّل لو أنّك تخطط للاضلاع بعملٍ معيّن أو تنظيم مسيرة احتجاجيّة ما وقد تتعرّض لهجومٍ على يدّ الشرطة أو لأعمالٍ انتقاميّة بسبب فضحك لإحدى أوجه الفساد التي ارتكبتها الحكومة. فمن أجل الاستعداد لمواجهة ذلك، لا بدّ عليك من فهم التكتيكات التي من المحتمل أن يستخدمها خصمك، والتي قد تنطوي، على سبيل المثال، على التستّر على الأفعال المرتكبة ومحاولة تشويه سمعتك وسمعة مجموعتك.
وفي هذا السياق، يقدّم دليل الإتيان بنتائج عكسيّة إرشادات عمليّة حول هذا النوع من التخطيط، في الوقت الذي يعرض فيه نموذج الإتيان بنتائج عكسيّة ويوفّر عددًا من الأمثلة والتمارين ذات الصلة به، وذلك سعيًا للتحلّي بالكفاءة والفعاليّة في وجه أيّ خصم قويّ أو خطير.

يشغل براين مارتن منصب أستاذ في العلوم الاجتماعيّة في جامعة وولونغونغ، في أستراليا، هذا وقد ألّف العديد من الكتب والمقالات الصادرة حول الأعمال اللاعنفيّة، في الوقت الذي يشغل فيه منصب نائب رئيس "منظمة ويسلبلوويرز أستراليا".